



جامعة الجبلية بونعامه - خميس مليانة -
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية-شعبة التاريخ

الحبيب بورقيبة و نضاله الوطني والقومي (1933 - 1956 م)

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:

عبد القادر فلّوح

إعداد الطالبتين:

✓ ياخو نسيمة

✓ الحاجة محمد بوزيان

السنة الجامعية:

1436هـ/1437هـ.

2015م/2016م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
لِيُبَيِّنَ لِنَاسٍ مِمَّا قَدْ فَضَّلْنَا اللَّهُ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

سورة ابراهيم الآية

شكر و عرفان شكر و عرفان

عملا بقوله تعالى: « ولئن شكرتم لأزيدنكم».

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من لم يشكر الناس لم يشكر الله».

بالغ شكرنا إلى ربنا، الذي أنعم علينا بواقر صحتنا
وإيساع صبرنا وقضاء أمرنا ، وتيسير عسرنا في إنجاز دراستنا.
نتقدم بخالص الشكر والإمتنان ، للأستاذ المشرف* **محمد القادر بلوج** •
الذي التمسنا فيه صرامة الأب و الأستاذ الحريص، طيلة مسارنا الجامعي
و الذي أمدنا بتوجيهاته العلمية القيّمة ، وحسن تدبيره ورحابة صدره رغم تعدد انشغالاته ،ونسأل الله العلي العظيم أن
يجعله منارة للبحث والباحثين.

كما ننوه بأسمى عبارات الشكر والتقدير والإمتنان ، إلى من كانوا يد عون لنا دون ملل أو كلل ، إلى الموظف
بالمكتبة المركزية بجامعة خميس مليانة ،القطب القديم السيد **عمر وهدي** ، و زملائنا الطلبة **أحمد هريبي**، **إسلام أحمد**
ميسى ، **عامر احطاش**، **طاهر بلواهير**، **بوا إلى السادة الكرام ميسى منصور**، **السيد نبيل بلحاج**، **ومحمد يزيد شريح**.
والشكر الجزيل أيضا موصول إلى جميع أساتذة قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية بالجامعة ونخص بالذكر عميد الكلية
الأستاذ **محمد القادر دوحة**، والأستاذة، **محفوط معيداني**، **نجيب حكاوي**، **أحمد بن بغزر**، **محفوط بن جبر**، **ومحمد الرحمان**
تونسي، والأستاذات الفضليات، **حياة سيدي صالح**، **معيوض**، **وطيبي**.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى ابن شقيقتنا تونس الدكتور **حبيب حسن اللولج** الذي أمدنا بمعلوماته القيمة .

فشكراً لكم جميعاً وجزأكم الله عز وجل عنا خيراً .

الإهداء

الحمد لله الذي تسبح له الرمال وتسجد له الظلال.

وتتدك من هيبتة الجبال الشكر والحمد لله

الذي بلغني هذا المآل لأقدم هذه العبارات القليل، وأهدي عملي هذا

إلى من ضمهما التراب و اشتاق لهما قلبي فلم يجد الجواب، جدي الغالي أحمد، وابنه عمي محمد، إلى من سافرت بها الأيام

إلى دار المقام، عزيزة عاهدتها أن تكون ذكراها في قلبي كالنقش على الرخام، لك جدتي العزيزة * **فايزة** *

إلى من أفنت عمرها و هي وردة بين الزهور، إلى من سقتني من حنانها أحلى العطور، إلى أصدق حب مكّني من المواصلة

و المرور، جنّتي، و معلّمتي في الحزن و السرور، لك أمي الغالية * **الهريرة** *

إلى من غرس فيّ الأمل وسقاني بأزهار الرياحين، إلى من بعث في نفسي روح العمل وأرشدني إلى سبيل العارفين أبي الحنون

* **الخضر** * حفظه الله و أطال عمره.

لياسمين روحي و مهجتي وفؤادي، فلذة كبدي أشقائنا الذين اقتسموا قلبي بالتساوي * محمد، راوية و محمد الله *

إلى من قلت فيك أروع الدّرر الحسان لن أنساك لو مرّ بنا زلّامان، إليك أختي و شريكتي في العمل * **الناجة محمد بوزيان** *

إلى لؤلؤة وجداني أصفى وأطهر القلوب أختي الثانية * **حناء بوحريطاي** *

لأعلى القلوب التي أحاطني بأروع الذكريات الجميلة، مؤنساتي و صديقاتي الوفيات **حياة، عولة، فايزة، الحاجة، خيرة، ممدية،** إلى

ابن عمّتي، أخي العزيز حميد، زوجته و برعمهما **محمد المحيبي و ابنة عمّتي نسرين**.

إلى كل أفراد عائلة * **ياهو** * كلّ باسمه وأخص بالذكر من قاسموني طفولتي بنات عمّي الغاليات، **سما، سامية، فاطمة، بختة،**

حريرة، فتية، وأبناء عمي، **أحمد، الميمون، رابع.**

إلى بنات خالتي العزيزات، **بعمية، حريرة، فاطمة الزهراء و ابنتهما نورمان.**

إلى كلّ **حناء، الجزائر و العتيقة تونس، وحميمه اللؤلؤ أسكنهم جميع جنانه.**

إلى كل من سعته ذاكرتي ولم تسعه منكرتي .

أهدي ثمرة جهدي وعملي هذا.

نسمة

الإهداء

بعد السجود لله تعالى على نعمه
التي لا تحصى ولا تعدّ وعلى معرفه الذي لا ينقضي أبداً، الذي بيده العظمة
و السلطان و القدرة و البرهان.

الى من ارتبطت طاعتها بطاعة الله سبحانه و تعالى
'وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً'
لأمي * رقية * وليس لغيرها خير ما أجنبي، فأنا منها وبها ولها حتى ألقى ربي أطل الله في عمرها
وحفظها لي.
إلى من علمني حب العمل و الإخلاص فيه، وعلمني الصبر و الشجاعة و القناعة، إنه والدي * أحمد *
أطل الله في عمره.

إلى جميع أفراد عائلة محمد بوزيان و عائلة بومعزة .
الى رفيق دربي وسندي زوجي الغالي * كريم * وفلذة كبدي ، إبتنا * رواء *
إلى مؤنستي طيلة مشواري الجامعي رفيقتي وشريكتي في انجاز هذا العمل،
* نسيمه بلخو *

إلى القلوب الطاهرة والنفوس البريئة ، إلى رياحين حياتي صديقتي الغاليات * حياة ، محلة ، عائشة ،
أميرة ، نجية ، نريمان ، سعاد ، صفاء ، سارة *

إلى جميع إخوتي وزوجاتهم وأولادهم.
إلى حماتي الغالية وبناتها ، وإلى كل من ساندني لأصل إلى نهاية هذا المشوار الطويل.

إلى جميع شهداء الجزائر وتونس الأبرار
إلى كل من سعته ذاكرتي ولم تسعه مذكرتي.
أهدي ثمرة جهدي وعملي هذا.

الخاتمة

قائمة المختصرات

➤ باللغة العربية :

تح : تحقيق .

تر : ترجمة .

تق : تقديم .

ج: الجزء .

س: الساعة .

ص : الصفحة .

ط : الطبعة .

م : المجلد .

مرا : مراجعة .

تع: تعريب

تح: تحقيق.

تق: تقديم .

➤ باللغة الفرنسية

T:tome

P : PAGE

مقدمة

شهدت بعض مستعمرات شمال إفريقيا أواخر القرن التاسع عشر، تنافساً أوروبياً شرساً وكانت فرنسا في طليعة الدول التي أرادت بناء إمبراطورية استعمارية في هذه المنطقة، وبعد سقوط الجزائر تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية 1830م أصبحت مناطق شمال إفريقيا الأخرى عرضة للاهتمام الفرنسي.

وفي هذا الإطار بدأت فرنسا في التحضير لبسط نفوذها الاستعماري على كل من تونس شرقاً والمغرب الأقصى غرباً، وفي هذه الظروف سقطت تونس تحت سيطرة الحماية الفرنسية 1881م لتفرض عليها فرنسا سياسة استعمارية أدت إلى نشوب مقاومة كانت أبرزها المقاومة السياسية، والتي قادتها نخبة مثقفة تونسية من أبرزها الشيخ عبد العزيز الثعالبي، علي باش حامبه، في إطار ما عرف بالحزب الدستوري التونسي 1920م والذي تعرض للانقسام سنة 1934م بميلاد حزب جديد عرف بالحزب الحر الدستوري الجديد بقيادة الحبيب بورقيبة قائد الحركة الوطنية التونسية بعد 1934م إلى الاستقلال، وهو من الشخصيات الوطنية العربية الذي تعرض إلى الاضطهاد من طرف الإدارة الفرنسية وقد تشعب بمجموعة من القيم العربية إلى جانب ثقافته الغربية التي استعملها في نضاله ضد الاحتلال الفرنسي وقد بقي منتقلاً بين تونس، فرنسا ومصر حاملاً معه القضية التونسية.

ولقد شكل لنا هذا الأخير موضوعاً جديراً بالبحث في شخصيته ودراستها في الفترة الممتدة ما بين 1933م إلى غاية استقلال تونس 1956م.

أسباب اختيار الموضوع:

من أهم دوافع اختيارنا لهذا الموضوع ما يلي :

- ✓ الرغبة في دراسة تاريخ المغرب العربي في فترته المعاصرة.
- ✓ لئلا الحبيب بورقيبة من أهم الشخصيات في مسار الحركة الوطنية التونسية.
- ✓ الرغبة في معرفة المنهجية والأسلوب الذي اتّبعه الحبيب بورقيبة لتحقيق غايته في الاستقلال.
- ✓ محاولة الوصول إلى مرجعية الفكر الثقافي والسياسي للحبيب بورقيبة .
- ✓ إثراء المكتبة الجامعية بمذكرة تعالج وتنتقل إلى شخصية وطنية مغاربية كانت لها بصمتها الواضحة في استقلال تونس.

إشكالية الموضوع:

تبلورت الإشكالية العامة حول مساهمة بورقيبة ونضاله الوطني، وأهم الأسس التي انطلق منها لمجابهة الإستعمار الفرنسي ولتحقيق السيادة الوطنية للبلاد التونسية فمن هذا المنطلق نطرح التساؤلات التالية:

- 1- ما هي الظروف العامة لتونس غداة انتصاب الحماية الفرنسية على تونس ؟
- 2- ما هي العوامل المؤثرة في تكوين شخصية الحبيب بورقيبة الوطنية ؟
- 3- ما هي المرجعية التي قادته للنضال السياسي ؟
- 4- كيف تمكّن الحبيب بورقيبة من الانتقال من شخصٍ عاديٍّ إلى زعيمٍ وطنيٍ قاد الحزب الدستوري الجديد ؟
- 5- كيف كانت مواقفه من القضايا العربية في فترة الخمسينات؟

مقدمة

وللإجابة على هذه الإشكالية قمنا بإنجاز دراستنا وفق منهجية مدروسة تضمنت ثلاثة فصول حيث جاء الفصل الأول تحت عنوان ميلاد الحركة الوطنية التونسية وتأثيرها على شخصية الحبيب بورقيبة، واستعرضنا من خلاله عوامل ظهور الحركة الوطنية في تونس وإبراز الحقيقة التي ظهر من أجلها هذا الشكل من النضال إلى جانب ذلك أدرجنا بدايات النضال السياسي التونسي من خلال عرض نمو الوعي الوطني لدى التونسيين، وتشكل نخب وطنية استكملت نضالها الوطني من أجل تحقيقها لغاية الاستقلال، بالإضافة إلى دراسة شخصية الحبيب بورقيبة الوطنية من مسيرة وتكوين اجتماعي وثقافي.

أما الفصل الثاني فقد كان عنوانه النضال الوطني للحبيب بورقيبة وتطرقنا فيه إلى نضاله في تونس محاولين الوصول إلى ظروف التحاق بورقيبة بالنضال السياسي وتأسيسه للحزب الدستوري التونسي الجديد 1934 م، إضافة إلى جهوده من خلال الحزب كما درسنا دور الحبيب بورقيبة في قيادة تونس نحو الاستقلال من خلال دوره في الثورة التونسية المسلحة وتعبئة الشعب التونسي للوقوف معه وكذلك مفاوضاته مع فرنسا لتحقيق الاستقلال.

وأدرجنا الفصل الثالث تحت عنوان النضال القومي للحبيب بورقيبة حيث قمنا بتبيان موقف بورقيبة من قضايا كل من المغرب والمشرق العربيين، ومن بين أهم القضايا التي قمنا بدراستها قضية الوحدة المغاربية والثورة الجزائرية وأيضاً قضية الوحدة العربية والقومية إضافة إلى القضية الفلسطينية، ثم حاولنا إبراز وجهة نظره من هذه القضايا التي كانت محط أنظار الوطن العربي في ذلك الوقت.

منهج الدراسة :

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي الذي يقوم على أساس ربط الأحداث ومتابعة التحولات من خلال التحليل والاستنتاج بالإضافة إلى المنهج الوصفي، من خلال وصف بعض الأحداث السياسية المؤثرة في شخصية الحبيب بورقيبة .

مصادر ومراجع الدراسة:

تتوّعت مصادر ومراجع البحث كما تشابهت في بعض الأحيان في المضمون، نذكر من أهمّ المصادر: بورقيبة سيرة شبه محرمة لمؤلفه الصّافي سعيد الذي أفادنا كثيرا في تقديم معلومات دقيقة حول شخصيّة بورقيبة من فترة ميلاده وإلى غاية وفاته وكتاب **هذه تونس**، لمؤلفه الحبيب ثامر والذي تناول تاريخ تونس ومكّننا من الوصول إلى دور بورقيبة في الحركة الوطنية التّونسيّة .

وكذلك **بورقيبة سيرة زعيم** لمؤلفه الطّاهر بلخوجة الذي احتوى على سياسة بورقيبة الدّاخلية والخارجية.

أمّا بالنسبة للمراجع فقد اعتمدنا على: **الحركة الوطنيّة التّونسيّة** لمؤلفه الطّاهر عبد الله الذي تناول مسار الحركة الوطنيّة التّونسيّة من البداية إلى الاستقلال وتونس عبر التاريخ **الحركة الوطنيّة ودولة الاستقلال** لخليفة الشّاطر وآخرون والذي استفدنا منه في إبراز نشاط الحبيب بورقيبة من خلال الحزب الدّستوري التّونسي الجديد، **تاريخ تونس المعاصر 1881 م-1956م** لمؤلفه أحمد القصاب وتناول هذا الكتاب تاريخ تونس من انتصاب الحماية الفرنسيّة على تونس إلى الاستقلال وتوصّدنا من خلاله إلى تطورات الحركة الوطنيّة التّونسيّة ودور بورقيبة فيها.

إضافة إلى المصادر والمراجع اعتمدنا على بعض الأطروحات الجامعيّة وكانت من بينها: **الحزب الدّستوري التّونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري 1934-1954م** دراسة مقارنة هي أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه لصاحبها قدارة شايب حيث توصّدنا من خلالها إلى معلومات عن نشاط الحبيب بورقيبة داخل الحزب الدّستوري الجديد وفرحات عباس **والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899-2000م** هي أطروحة دكتوراه لصاحبها عز الدين معزة، مكّنتنا من التّعريف بشخصية بورقيبة، كما اعتمدنا أيضا على مراجع متنوّعة من موسوعات ومجلات موجودة في قائمة البيبليوغرافيا.

مقدمة

وبخصوص الصّعوبات التي لا يكاد يخلو منها أي بحث فقد واجهنا بعض العراقيين كصعوبة التّحكم في المعلومات التي توصلنا إليها من خلال الكثير من المصادر التي تطرقت لموضوع الحبيب بورقيبة وقيمتها التاريخية سواء على المستوى، الوطني التونسي المغاربي، أو العربي.

✓ قلّة المراجع المتخصّصة في موضوعنا على مستوى المكتبة الجامعية بخميس مليانة أو المكتبات المحيطة بنا حيث ألزمتنا الأمر إلى التّنقل إلى المكتبات بالمدن الكبرى كالمكتبة الوطنية بالحامة.

✓ ضيق الوقت الممنوح لإنجاز مذكرة ماستر لنهاية الدراسة والذي تطلب منا جهداً كبيراً إلى جانب انشغالنا بالدراسة طيلة السّداسي الأول.

ولكن وبفضل توجيهات ونصائح أستاذنا المحترم، المشرف على عملنا ، تمكنا من تخطي بعض الصعوبات لإنجاز هذا العمل بهذه الصورة التي هو عليها .

ويبقى موضوع دراستنا هذا محاولة جادّة للكشف عن بعض الجوانب من شخصية الحبيب بورقيبة كما تبقى هذه الدّراسة مفتاحاً للدراسات الأخرى التي يمكن الاعتماد عليها لاحقاً وإثرائها.

ونشيد في الأخير بلجنة المناقشة التي ستشرف على مناقشة المذكرة بكل موضوعية حتّى نستفيد من توجيهاتها العلمية الهادفة.

الفصل الأول:

ميلاد الحركة الوطنية التونسية وتأثيرها على شخصية الحبيب بورقيبة.

المبحث الأول: عوامل ظهور الحركة الوطنية في تونس.

المبحث الثاني: بدايات النضال السياسي التونسي.

المبحث الثالث: التعريف بشخصية الحبيب بورقيبة.

تمهيد :

سنقوم في هذا الفصل بمحاولة تبيان الحقيقة التي قامت من أجلها الحركة الوطنية في تونس، وذلك بعد أن وضعت فرنسا معظم مخططاتها لفرض الحماية على البلاد التونسية، في وقت وجدت فيه فرنسا معظم الأجواء مهيأة ومجهزة لتنفيذ جلّ ما كانت تطمح إليه من غايات ولعلّ أهمّها أن تتمكّن من إحكام قبضتها على تونس وبالتالي تسيير البلاد التونسية في مختلف المجالات تسييراً فرنسياً، كما سنظهر المواقف الأولية اتجاه فرض الحماية الفرنسية مباشرة بعد توقيع معاهدة الحماية 1881م والتي تمثّلت أساساً في المقاومة الشعبية المسلّحة والتي ظهرت كردّ فعل أولي قوي عن الاستعمار الفرنسي، كشف من خلالها التونسيون في مناطق مختلفة من البلاد عن رفضهم ومجابتهم لنظام الحماية الذي كان يتمييز منذ الوهلة الأولى بالتعسف والاضطهاد في حق الشعب التونسي.

سنقف عند نقطة هامة وهي أنّ هذه المقاومات الشعبية المسلّحة لم تدم لوقت طويل وسرعان ما باءت بالفشل، فنهاية هذه المقاومات كانت عبارة عن بداية لشكل جديد من النّضال الذي تمثّل في النّضال السياسي، بعد بروز نخبة من المثقّفين والوطنيين الذي كانت لها أهمية كبيرة ودور فاعل في توعية الشعب من خلال أفكارها وتوجهاتها داخل الأحزاب السياسية ونشاطها المضاد للسياسة الفرنسية. كما سندرج التعريف بشخصية الحبيب بورقيبة بالتطرق إلى كل من المولد والنشأة والتكوين الاجتماعي والثقافي لهذه الشخصية التي اقترن اسمها بتاريخ تونس المعاصر ونضالها الوطني ضدّ المدّتل الأجنبي .

المبحث الأول : عوامل ظهور الحركة الوطنية في تونس.

01 : الحماية الفرنسية على تونس 1881م.

بعد أن استتب الضعف في تونس أواخر القرن التاسع عشر، و نظراً للواقع الذي كانت تشهده المنطقة آنذاك حدث إن اشتد تنافس الدول الأوروبية الاستعمارية فيما بينها حول فتح الأسواق وتهجير المواطنين الأوروبيين للعمل وامتلاك رؤوس الأموال.

ولقد كانت فرنسا في مقدّمة تلك الدول، حيث بدأت توجّه أنظارها نحو تونس تحت تأثير مجموعة من العوامل ، فمنذ احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م وبحكم موقعي تونس والجزائر المتجاورتين فُلِّد دخول فرنسا إلى منطقة تونس كان نتيجة متوقّعة بعد دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر، حيث ما فتئت الحرب الجزائرية أن تنتهي حتى بادرت فرنسا في التّخمين في الوسائل التي تمكنها من تحقيق غاياتها من غزو تونس¹، ثم إن الظروف الدولية الأخرى التي سبقت فرض الحماية الفرنسية على تونس كان لها وقع شديد في إطلاق يد فرنسا في البلاد التونسية، حيث تأثر الجوّ السياسي بأوروبا وقتها بحادثتين هما هزيمة فرنسا في حربها مع ألمانيا في 1870م و هزيمة تركيا في حربها مع روسيا في 1877م².

¹ - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، مكتبة عالم الفكر للنشر، الرباط، 2003 ، ص68.

² - الحبيب ثامر، هذه تونس، (مرا وتج: حمادي الساحلي)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص24.

وإضافة إلى ذلك فقد ظهر التأييد البريطاني والألماني لفرنسا على إحتلال تونس جليا¹ من خلال كواليس مؤتمر برلين 1878م². حيث أصبحت إنجلترا لا تمنع ولا تبدي أيّ معارضة على فكرة الغزو الفرنسي لتونس مادامت تعمل على تثبيت أوصال الدولة العثمانية³، كما تخلّت عن تونس لفائدة فرنسا مقابل استحواذها على جزيرة قبرص⁴، وإسكات الفرنسيين لإبعادهم عن النفوذ البريطاني بقبرص⁵، ولعلّ ما يوضح ذلك تصريح وزير خارجية إنجلترا "السوري"⁶ لنظيره الفرنسي "وادنفتون"، بقوله "احتلوا تونس إن شئتم فإنجلترا لا تمنع ذلك بل تحترم قراراتهم"⁷. ثم أضاف إلى قوله هذا أنه ليس هناك من شيء ينتظره الفرنسيين ولكنهم مرغمين على أخذ قرطاج وعليهم أن لا يتخلوا عنها ويتكوها في أيدي البربر⁸.

¹ - علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية على تونس، (تع: عمر بن حنو و حليلة قرقوري، علي المحجوبي)، ط2 دار سراس للنشر، تونس 1986، ص 35.

² - هو اتفاق دولي بشأن التقسيم الجزئي للدولة العثمانية، عقد المؤتمر من 13 جوان إلى 13 جويلية 1878م، شاركت فيه كل من ألمانيا، وروسيا، النمسا، المجر، فرنسا وإيطاليا للمزيد؛ أنظر عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 520.

³ - يونس درمونة، تونس بين الحماية والإحتلال، مطبعة الرسالة للنشر، القاهرة، 2001م، ص 17.

⁴ - عاطف عيد، قصة في تاريخ الحضارات العربية، - تونس والجزائر، بيروت، 1998م، ص 64.

⁵ - هي ثالث جزر البحر الأبيض المتوسط حجما تقع في زاويته الشرقية الشمالية 33° درجة شرقي غرينتش و 35° درجة شمال خط الاستواء، تبعد عن الشاطئ التركي 70 كلم، عرفت في القرن 17 و 18 فترة مظلمة في تاريخها من أمراض ومجاعات وعرفت أيضا عدة انتفاضات، خضعت للحكم التركي 1570 ثم بعده إلى الحكم البريطاني 1878 بمقتضى مؤتمر برلين للمزيد؛ أنظر: عبد الوهاب الكيالي، ج 4، مرجع سابق، ص 745.

⁶ - (1830 - 1930) رجل دولة بريطاني استعماري تخرج من جامعة أوكسفورد تزعم حزب المحافظين و صل في سنة 1885 إلى رئاسة حكومة بريطانيا (1885-1892)، للمزيد؛ أنظر: الموسوعة العربية، م 10، تصنيف تاريخ وجغرافيا و آثار، ص 593.

⁷ - (1826 - 1894) سياسي وعالم أثار من أصل انجليزي، كان وزيرا للتربية في عام 1873 م، ثم وزيرا للخارجية الفرنسية 1877م، مثل فرنسا في مؤتمر برلين 1878م. للمزيد؛ أنظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج 7، ص 247.

⁸ - علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 35.

كما قامت ألمانيا بتشجيع فرنسا على احتلال تونس و قد كانت غايتها من ذلك انشغال فرنسا بالحماية على تونس وعدم المطالبة بالالزاس و اللورين¹، وكذلك لإبعاد النشاط العسكري الفرنسي عن الحدود الفرنسية الألمانية²، كما كان بسمارك قد أكد ذلك في 04جانفي 1879 م في حديثه مع سفير فرنسا في برلين معيداً عن قضية تونس حيث مثلها بالإجاصة الناضجة التي أصبح الوقت مناسباً لاقتطافها³.

أما على الصعيد الداخلي فليّ تونس لم تتمكّن من المحافظة على الإصلاحات التي كان قد قام بها خير الدين التونسي⁴، الذي عمل على إنعاش تونس في جميع المجالات وقد ظهر ذلك من خلال الإصلاحات التي كانت ستمنح تونس قوة الدولة المنظمة من الناحية المعنوية⁵، ولكن سرعان ما زالت تلك الإصلاحات بسبب الرأسماليين الأجانب الذين استغلّوها، وحصلوا على امتيازات⁶ مختلفتها انجرّ عنها تغلغل الرأسمال الأجنبي و تدهور

¹ - مقاطعتان تقعان في شمال شرق فرنسا، تتميزان بغناهما بماده الحديد، قام بسمارك بضمهما إلى ألمانيا 1871 حصلاً من ألمانيا إلى نوع من الحكم الذاتي في 1911، تم إعادتهما بموجب معاهدة فرساي إلى فرنسا 1919م، في 1940 أعاد هتلر ضمهما إلى ألمانيا و لكن حررتهما فرنسا عام 1945م للمزيد؛ انظر: عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ج1، ص 260.

² - محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 1989، ص 80.

³ - (A) Guelouze - (A) Massmoudi, op-cit.p433

⁴ - مفكر و إصلاححي تونسي لقب بأب النهضة التونسية الحديثة، بدأت حياته في إحدى بيوت الأشراف بالاستانة، تقلد مناصب عدة في تونس من وزير إلى رئيس الوزراء ثم إلى الصدر الأعظم تميز بشراسته في جميع المناصب التي تبوؤها كما تميز عن غيره من رجالات النهضة بأنه جمع بين شخصيه المفكر ورجل السياسة، قام بإنشاء اول مجلس شوري منتخب؛ سمير أبو حمدان للمزيد؛ انظر: خير الدين التونسي، موسوعة عصر النهضة، دار الكتاب العالمي للنشر، بيروت 1992، ص 6.

⁵ - عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي في عصر الامبراطوريه العهد التركي في تونس و الجزائر، ط1، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1426 هـ، 2005 م، ص 93

⁶ - هي ما يحصل عليه الأجانب دون المواطنين داخل دوله مماثل عدم محاكمة الأجانب عن الجرائم التي يرتكبونها داخل الدولة و إعفائهم من الضرائب والرسوم الجمركية، حيث كانت هذه الامتيازات تشكل خطراً على استقلال الدولة التي

تدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي، إضافة إلى تراكم الديون مما دفع بالباي التونسي إلى التفكير في إيجاد حلّ للمشكل بلجونه إلى الاستدانة من البنوك و لكنه زاد الطين بلة حيث أصبحت تونس محتلةً مالياً¹.

وأصبحت الضرائب أيضاً تثقل كاهل الأهالي التونسيين حيث شهدت تونس آنذاك نوعين من الضرائب المباشرة وغير المباشرة².

لما فيما يخص الوضع السياسي فإن تونس عرفت فترة عجز كبيرة مكنت فرنسا من اختراق الأراضي التونسية دون وجود أي صعوبة في تعليل وجودها بالمنطقة³، واتخذت المناوشات التي كانت تحدث على الحدود بين التونسيين و الجزائريين كذريعة مباشرة للتدخل في الشأن التونسي⁴، حيث حدث في 30 مارس 1881م اشتباك بين القبائل على الحدود التونسية الجزائرية توغلت على إثره قبائل تونسية داخل الحدود الجزائرية الأمر الذي جعل فرنسا تجتاح الأراضي التونسية دون أي مقاومة⁵.

كانت هذه أهم العوامل الداخلية والخارجية التي شجعت فرنسا ودفعت بها إلى فرض الحماية على البلاد التونسية.

ومن هنا كانت تونس أول تجربة لنظام الحماية عرفها الاستعمار الفرنسي لأنه استهدف نقطتين أولها إسكات المعارضة الدولية بحجة أن فرنسا لم تنهي كيان دولة تونس

تمنح = امتيازات للأجانب؛ إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، للمزيد؛ أنظر: الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية عربي-انجليزي ص 55.

¹ - أحمد إسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، ط 1، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، 1425 هـ، 2004 م، ص 94 .

² - علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 11.

³ - عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص 93 .

⁴ - الحبيب ثامر ، مصدر سابق، ص 27.

⁵ - محمد صور سلمان، الحماية الفرنسية على تونس 1881 و الموقف العثماني والأوروبي منها، مجلة ديالى، ع 56، العراق، 2012 م، ص 5 .

بالضّم، وثانيها أن تقوم بإقناع المعارضة الداخلية بئىّ الحكومة لن تتورط في مشاكل مالية جديدة¹.

بعد أن تمكّنت القوات الفرنسية من النزول في ميناء بنزرت يوم 12 ماي 1881م استطاعت أن تتقدّم إلى مدينة تونس العاصمة، وهناك فرضت فرنسا الحصار على قصر البايببار دو وأرغم البايببار على توقيع معاهدة الحماية، حيث حمّلت عدة بنود كان من ضمنها: _ أن يتمّ التعاون بين تونس وفرنسا على أساس المعاهدات والاتفاقيات السابقة. _ تحتل القوات الفرنسية مراكز معينة على السواحل التونسية. _ تتعهد فرنسا بحماية البايببار من أي خطر يهدد بأن يعبث بأمن مملكته².

نصّت المعاهدة على أن الاحتلال الفرنسي بتونس هو احتلال مؤقت قد يزول حينما تتفق السلاطتان التونسية والفرنسية على استقرار الأمن في تونس³. ولما توطّدت الحماية الفرنسية بتونس شرعت فرنسا بتطبيق سياستها متخذة الجانب الإداري نقطة وثوب لتنفيذ مبتغاها، حيث قامت بانتزاع سلطة البايببار وحكومته وركّزتها في أيدي المقيم الفرنسي⁴. ولكن فرنسا لم تكفي بجميع المكتسبات السياسية التي حصلت عليها جرّاء اختراقها لتونس. وبعد فرضها لنظام الحماية الفرنسية عاهدت على إخبار البايببار على توقيع اتفاقية جديدة عرفت باتفاقية المرسى الكبير في 08 جوان 1883م⁵، لجأت فرنسا إلى عقد هذه

¹ - صلاح العقاد، المغرب العربي، دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة، د-ط، مكتبة الانجلومصرية، 1980، ص 190.

² - يحيى بوعزيز، تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، دار القصة للنشر الجزائر، 2007م، ص 37.

³ - يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، دج، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 21.

⁴ - إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاکر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج 2 دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، 1993م، ص 100.

⁵ - راغب السرجاني، قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011م، ط 1، دار الأفلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة 2011، ص 23.

الاتفاقية بعدما انتابها شعور أحسّت من خلاله بضعف مركزها نتيجة القيود التي حملتها معاهدة باردو ومضمونها.

كما أنّ اتفاقية المرسى هذه، وضعت لتوسيع قاعدة النفوذ الفرنسي وهي تبرز في ظاهرها كأداة لتثبيت الحماية وتدارك نقائص معاهدة باردو، و استطاعت أن تُتيح بصورة عملية التّدخل الصّريح في الشؤون التّونسية الداخليّة، فبمقتضى هذه الاتفاقية بارت فرنسا في إعادة بناء الأنظمة الإداريّة التّونسية تبعاً لما تقتضيه مصالحه¹، أمّا من النّاحية الإقتصاديّة تمكّنت فرنسا من التّحكم في مصادر الإقتصاد التّونسي وصادرت أراضي الدولة الزراعيّة مسيطرة بذلك على اليد العاملة التّونسيّة القليلة².

وقد بادرت السّلطة الفرنسيّة منذ ميلاد عهد الحماية إلى وضع يدها على عناصر الإنتاج وهيئات مختلف السُّبل للأجانب و الفرنسيين في تونس لانتهاك ثروة البلاد وبهذا اختلّ التّوازن الاقتصاديّ و تدنّى مستوى المعيشة بين الأهالي التّونسيين، وقد شمل تدخّل فرنسا في تونس القطاعات الاقتصاديّة، ففي المجال الزراعيّ كان همّ فرنسا وشغلها الشّاغل الاستحواذ على الأراضي الزراعيّة التّونسيّة، ومصدرة تشريعات مختلفة قصد انتزاع الأراضي من أصحابها و إسنادها للفرنسيين ليصبح هؤلاء متحكّمين في الحياة الاقتصاديّة³. ارتبط انتشار الاستعمار الزراعيّ بتونس من طرف فرنسا بظاهرتين هما الحركة الاستيطانية ونشوء القطاع الفلاحي المضاربي حيث كان هذا الشّكل من الاستعمار أحد روافد الحركة الوطنيّة، كما يعتبر تعديل أسس الملكيّة العقارية أوّل لبنة في عملية إعادة هيكلة الرّيف التّونسي حسب مقتضيات الإقتصاد الاستعماري. وقد عرف الاستعمار الزراعيّ في تونس ثلاث مراحل أساسيّة تمثّلت فيما يلي:

¹ - خليفة الشّاطر و آخرون، تونس عبر تاريخ الحركة الوطنيّة و دولة الاستقلال، ج3، مركز للدراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، تونس، 2005، ص 32.

² - صموت كرمال، الاستعمار الرّأسمالي الفرنسي و حركة الشباب التّونسي 1881-1892، المجلة التاريخيّة المغربيّة العدد 1، تونس، 1974، ص 72.

³ - الحبيب ثامر، مصدر سابق، ص 41 .

1-تحديد أسس الملكية العقارية.

2-الذهاب العقاري وتشكل ملكيات عقارية استعمارية¹.

في الميدان الصّناعي عرفت تونس واقعاً صناعياً فرضه نظام الحماية حيث لم تنشأ صناعات مهمة كما لم تقم فرنسا بأي جهد ل تطوير الصناعات الموجودة في السابق وأبقتها في وضعيتها لتواجه واقعها المحتوم. واحتكرت فرنسا الأسواق الداخلية للصناعات الميكانيكية رخيصة الثمن، وعانى التونسيون من الفقر والقهر، حاولت فرنسا من خلال هذه السياسة أن تضمن تونس كسوق تجاري للبضائع أما فيما يخص الثروة المعدنية التونسية فقد قامت تونس بتسليمها لشركات احتكارية فرنسية².

أحدثت سيطرة الاحتلال الفرنسي على الميدان الصناعي تقلبات على أحوال المجتمع التونسي و تدهورت الصناعة التقليدية والمهن الحرة وانقرضت مختلف الحرف خاصة صناعة الشاشية، التي كان يرتزق منها ما يزيد عن سبعة آلاف عامل لم تستطع منافسة ما كان يستورده الأجانب من بضائع³، ومن هذا المنطلق نجد أن تونس في فترة الاحتلال الفرنسي تحولت من منطقة زراعية إلى منطقة تقتصر فيها الصناعات على النشاط الحرفي فرغم التطور الكبير الذي شمل صناعات استخراج المعادن فإن البلاد التونسية لم تستطع أن تكون صناعية بالمفهوم الأوروبي، ويعود ذلك أساس إلى تهافت الأجانب على المكاسب الاقتصادية⁴.

واجهت فرنسا أيضا اهتماماتها بالتجارة التونسية، وركّبت سياستها الاقتصادية على النظام الجمركي وخلق سوق لترويج بضاعتها، ولما كانت رغبتها غير متوازية مع ما كان يربط تونس من اتفاقيات تجارية مع الدول الأوروبية فوفقا لما تعاهدت به هي نفسها في معاهده باردو حيث انفتحت مع هذه الدول على التنازل عن حقها في التساوي معها في كل

¹- خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 49، 48.

²- الحبيب ثامر، مصدر سابق، ص 50.

³- يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص 52.

⁴- خليفة الشاطر و آخرون، مرجع سابق، ص 54.

"الامتيازات الجمركية" ففسح لها المجال في ذلك وتمكنت فرنسا من القضاء على استقلال تونس الجمركي و أصبحت تصدر إلى تونس بضائع فرنسية دون دفع الرسوم الجمركية بينما لا يخول لتونس هذا الحق¹.

انعكست السياسة الاقتصادية الفرنسية في البلاد التونسية على الحياة الاجتماعية والثقافية للتونسيين، حيث عم بتونس وضع اجتماعي مزري يتميز بظهور الفقر والتسول، والاضطهاد بين الأهالي التونسيين.

زاد هذا الوضع من تخوف التونسيين الوطنيين وخرجت مظاهرات في نطاق واسع من المدن و القرى التونسية نتيجة عدم توفر المواد الغذائية و ارتفاع أسعار الخبز و تصدير الحبوب التونسية، وانتشرت الشعارات و المنشورات ضد فرنسا في الشوارع، فبدأت فرنسا سياسة القوة والبطش². تعاملت السلطات الفرنسية مع الشعب التونسي بشدة وقساوة وسعت إلى إفقارهم وتشتيتهم وفتحت أبواب الهجرة و أغلقت عليهم الرواتب العالية³.

كان المسلمون التونسيون لا يتمتعون بأي ضمان اجتماعي يحميهم من حوادث الشغل و غيرها، فأصيبوا بأمراض خطيرة والتي جاءت نتيجة فتح الحانات والملاهي من طرف فرنسا في وجه التونسيين و تعاطي الخمر⁴.

أما في الجانب الثقافي عمدت فرنسا على طمس الشخصية الوطنية و محو الثقافة العربية الإسلامية في تونس، بداية من محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي و جعلت من اللغة الفرنسية كلغة رسمية، وجهدت للتقليل من المدارس العربية وأدرجت مناهج منافية للثقافة العربية من اللغة و الاتجاهات و التاريخ، ولكن واجه التونسيون هذه السياسة الثقافية بالتحاقهم بالمدارس الإسلامية و جامع الزيتونة حفاظاً على الثقافة العربية الإسلامية⁵.

¹ - الحبيب ثامر، مصدر سابق، ص 51.

² - مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ العربي الحديث والمعاصر، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان 2004، ص 201.

³ - محمد عبد الله عودة، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1979، ص 82.

⁴ - يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص 54.

⁵ - محمد عبد الله عودة، مرجع سابق، ص 82.

02: المقاومة الشعبية المسلحة و فشلها:

لقد كان الشعب التونسي مناهضاً لنظام الحماية الفرنسية و أبدى مواقف من ذلك مباشرة بعد توقيع معاهدة الحماية في قصر باردو من طرف الباي التونسي محمد الصادق. فالفترة التي تلت توقيع المعاهدة مباشرة شهدت ظهر إتجاهين الأول قبل بالوضع السائد في تونس وتمثل في موقف الباي وحاشيته من جهة وأصحاب الامتيازات من الجهة الأخرى وهو التيار الذي كان أصحابه يرون أنه من غير الطبيعي أن يسقطوا نظام الحماية والاحتلال خوفاً على مصالحهم وأراضيهم، أما التيار الثاني هو التيار الذي لم يرضخ لفكرة الحماية وواجهها بأسلوب المقاومة¹، وبالرغم من سيطرة الاحتلال الفرنسي على جميع نواحي الحياة في تونس السياسية، فلّ فرنسا لم تجد ضالتها أمام رفض المذلة والهوان الذي أبداه التونسيون فبغض النظر عن بدائية السلاح ونقص العدة والعتاد فإن هؤلاء التونسيون كانوا في أتم الاستعداد لمواجهة فرنسا². ولعل خير دليل عن رفع الحماية هو موقف رئيس بلدية تونس "العربي محمد زروق"³، الذي كان مناهضاً لفكرة أن يوقع الباي على معاهدة الحماية و عبر عن ذلك للباي بقوله: « اليوم لم يبقى وجه لتأخير ما اتفقنا عليه أمس من انتقال سيدنا إلى تونس و هناك يتجمع حول نحو ستين ألف مقاتل من أمّتك و يقضي الله بيننا». هنا ردّ عليه « أن يذهب رأس واحد خير من ذهاب رأس أمه كاملة»⁴.

¹ - محمد علي داهش، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوجدانية في المغرب العربي، اتحاد الكتاب العربي للنشر، دمشق، 2004، ص 43.

² - الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة 1830 1956، ط2، دار المعارف للطباعة و النشر، سوسة تونس، 1920، ص 30.

³ - ولد بمدينة تونس عام 1891م، درس بالكلية الحربية بباردو حتى تخرج برتبة ملازم وتدرج في المسؤوليات ليصبح لواءً ثم مدير لمدرسة الصادقية، ثم أصبح رئيساً لبلدية تونس وقد عارض الوجود الفرنسي وخوفاً على نفسه من القتل افر إلى اسطنبول عبر ايطاليا وقد وفر له الباي العالي جميع سبل الراحة في المدينة لمدة 7 سنوات ليتحول إلى الحجاز ليستقر نهائياً هناك، وقد توفي في سنة 1902م، ودفن هناك؛ للمزيد؛ انظر: محمد المرزوقي، صراع مع الحماية، الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1973 م، ص - 177 - 183.

⁴ - الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 26.

من خلال الموقف الذي أبداه العربي زروق عُرف مصيره حيث تم عزله من جميع وظائفه و نهايته محصورة بين القتل من طرف الباي أو الفرنسيين أو الهروب والفرار من تونس¹.

عندما تلقى أخباراً في الجزائر حيث انتقلت مظاهرات من مدن الجنوب الغربي للجزائر إلى المدن الساحلية خصة في صيف مدينة وهران 1881م ومظاهرات في طرابلس الغرب ضد الإحتلال الفرنسي لتونس، وقد تزعم الثورة رجال الدين وأصحاب الطرق الصوفية²، شملت المقاومة الشعبية المسلحة جميع أنحاء البلاد و مما زاد الثورة شتماً يقين الشعب بأن الباي قد وقع المعاهدة مرغماً³.

في الشمال التونسي، كانت قبائل الخمير في طليعة المقاومة الشعبية المسلحة حيث هاجمت مختلف القبائل التونسية جيوش الاحتلال الفرنسي، كلما وجدت الفرصة المناسبة⁴. تم تجهيز محلة بعد إتفاقية باردو غير أن هذه المحلة جعلت من المقاومة أكثر صعوبة⁵.

لعبت قبائل "بوسعيد، الحوامدة وأولاد عمّار" بقيادة شيوخهم دوراً هاماً في مواجهة العدو، كما تواصلت المقاومة في الجهات الجنوبية بمشاركة قبائل أولاد "بوسالم والشامية وعمدون"، كما شهد سهل بوسالم في 30 / 4 / 1881م معركة دامية في منطقة تعرف "بن بشير" دام القتال فيها يوماً كاملاً، غير أن المقاومين فروا نتيجة التفوق الذي أبداه العدو

1- الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 27.

2- رأفت الشيخ الغنيمي، مرجع سابق، ص 95.

3- الحبيب ثامر، مصدر سابق، ص 30، للمزيد؛ أنظر: الملحق رقم 01، ص 105.

4- محمد المرزوقي، مرجع سابق، ص 97.

5- الشيباني بلغيث، الجيش التونسي في عهد الصادق باي، 1859-1882، (تق: عبد الجليل التميمي)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، 1995، ص 217.

كما تميزت قبائل "معقد و هذيل" بمقاومتها الشديدة لفرنسا والتي واجهت الاحتلال في كل من ماطر و بنزرت، و تمكنوا من السيطرة على سفينة فرنسية وقاموا بأسر من مكان فيها¹.
بادرت أيضا بالشمال قبائل "أولاد عيار" بلعب دورها الحاسم في حركة المقاومة الشعبية المسلحة بقيادة علي بن عمار².

وفي الوسط و الساحل التونسي³، كانت المقاومة أشد ضراوة حيث كان أهالي جالاس يواجهون الجيش الفرنسي تحت قيادة "الحاج حسين بن المسعى" بينما كان "أولاد عون" خاضعين لإمرة علي بن عمار الذي قاوم الجيوش الفرنسية التي انتصبت بمدينة الكاف. تفاوتت المدن الساحلية في انضمامها للثورة و بقيت في حيرة من أمرها؛ إما أن تقاوم الاحتلال أو أن تبقى تحت حكومة الباي، وبهذا انقسمت مدن الساحل التونسي إلى ثلاث فئات، الأولى هي مدن انضمت بالكامل للثورة مثل "زاوية، حمام، سوسة، القلعة الكبرى، قصور الباق و سيدي علوان" والثانية هي مدن لم تشارك في الثورة لكنها لم تفرض سيطرتها على أصحابها و عددها تسعة عشر مدينة، أما الفئة الثالثة فهي مدن بقيت على ولاءها و عددها أربعة عشر⁴.

تمكنت جميع القبائل المنظمة للمقاومة أن تزرع نوع من الاضطرابات في صفوف العدو حيث هاجموا المعسكرات التابعة لكتيبة المقدم "كوريار" فواصلوا مطاردة الكتيبة في ومن هنا تمكنت المقاومة التونسية أن توجد عرقلة لزحف القوات الفرنسية ولو لمدة قصيرة، عمد الجنرال "صباتيه" إلى توقيف أعيان مدينة "زغوان" وهددهم بالقتل في حين استمر هجومات المقاومين لذلك لجأ رجال المقاومة التونسيين إلى تغيير خطة القتال فتمكنت السلطات الفرنسية من تحقيق غايتها و احتلت مدينة القيروان و سوسة⁵.

¹ - علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 46.

² - الشيباني بلغيث، مرجع سابق، ص 218.

³ - أحمد القصاب، مرجع سابق، ص 34.

⁴ - أحمد القصاب، مرجع سابق، ص 221.

⁵ - علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 51.

أما في الجنوب التونسي، بيداًنّ الاحتلال الفرنسي بتونس وجد أمامه مدينة صلبة كانت إحدى قلاع المقاومة الشعبوية التونسية وهي مدينة صفاقس، ظهرت فيها ثورة ضدّ الفرنسيين حيث هُجمت قنصلية فرنسا ونجح المقاومين في لإطاحة بالعلم الفرنسي فتعزّزت هذه المدينة بالعديد من رجال المقاومة الذين كانوا بقيادة "علي بن خليفة"¹.

إزداد هيجان سكان مدينة صفاقس منددين "الموت للفرنسيين"، حيث قاموا بمواجهة "حسونة الجلولي" بسبب ولائه للفرنسيين و كان "روسطان" قد إتفق مع الوزير الأول مصطفى بن إسماعيل لقمع المقاومة، فتأسست لجنة للدفاع عن المدينة².

تعوّزت المقاومة بالجنوب بعد أن ثارت المدينة بقيادة محمد كمون³ و"محمد شريف"³ وفي نهاية المطاف تعرّضت تونس للسقوط في 16 جويلية 1881م، رغم كل ما أبداه رجال المقاومة من شجاعة، وكان ذلك نتيجة التباين الذي كان واضحاً في قيمة العدة والعتاد⁴.

وبعد أن تمّ احتلالها وتدميرها (صفاقس) و السيطرة عليها برأ و جواً ظلت المنطقة الجنوبية تقاوم بزعامة القائد الكبير علي بن خليفة إلى غاية سنة 1910م⁵. كما عمّت أيضاً المقاومة الشعبوية المسلّحة مدينة قابس التي كانت تتألف في ذلك الوقت من قريتين، قرية المنزل و قرية جارة".

وكانت قرية المنزل تعدّ مركز مقاومة بعد أن قدم إليها قبائل نفات وبني يزيد والحزم و ورغمة"، غير أن أهالي قرية جارة⁶ رحبوا بالأسطول الفرنسي⁶، وانتصبوا بهذه البلدة وهاجموا الثوار المتواجدين في قرية المنزل بعد مواجهة حادة بين المقاومين و الجنود الفرنسيين وانتهت بتراجع الفرنسيين عن معسكرهم الموجود بالشاطئ وقاموا بغارة أخرى في ولكن لم

¹ - الشيباني بلغيث، مرجع سابق، ص 219.

² - علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 49.

³ - عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص 118.

⁴ - عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص 49.

⁵ - الحبيب ثامر، مصدر سابق، ص 30.

⁶ - الشيباني بلغيث، مرجع سابق، ص 220.

تسقط هذه المدينة بصفة نهائية لإّ مع نهاية شهر نوفمبر عام 1881م. كما شهدت مدينة "قفصة" أيضا مواجهة الفرنسيين بعد ما اتفق أهلها من المدنيين والعسكريين على ضرورة المقاومة، ولكنها باءت بالفشل¹، ويعود سبب فشل المقاومة الشعبية المسلحة في تونس إلى مجموعة من العوامل أهمّها:

✓ غياب الخطة الموحدة للمقاومة بسبب تشتت القيادات، فرغم محاولة علي بن خليفة توحيد القيادة إلا أن زعماء القبائل رفضوا ذلك ممّا أسفر على الإيقاع بهم من طرف فرنسا الواحد بعد الآخر².

✓ نقص في حجم الأسلحة المتوفرة، حيث كان رجال المقاومة في حاجة ماسة إلى الأسلحة الحديثة لأنّ الأسلحة التي كانت بحوزتهم قديمة ولم تمكّن المقاومين التونسيين من تحقيق هدفهم، وفي المقابل كان الفرنسيون يمتلكون أسلحة حديثة ومتطورة ويستعملون المدفعية هذا بغضّ النظر عن التنسيق المنظم للحرب³.

✓ الولاء الكبير الذي كان يكنه الباي التونسي للمستعمر ومواجهته للمقاومة من خلال وقوفه إلى جانب الفرنسيين، كما أنه كان يدلّ الفرنسيين على مخابئ البلاد وطرقاتها، إضافة إلى المعلومات التي كان يزود بها المستعمر⁴.

✓ الضعف الكبير الذي وصلت إليه الدولة العثمانية وبالتالي تخلي العثمانيين عن واجبهم المقدس و هو دعم الثوار التونسيين الذين كانوا يعلقون آمالا كبيرة على الأتراك⁵.

¹ - الشيباني بلغيث، مرجع سابق، ص 220.

² - الهادي بكوش، المقاومة في تونس ضد الاستعمار (1881-1964) درس افتتاحي للسنة الجامعية 2003/2004 بكلية الحقوق، تونس، 2003، ص 22.

³ - محمد علي داهش، مرجع سابق، ص 43.

⁴ - محمد المرزوقي، مرجع سابق، ص 128.

⁵ - شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2007 م، ص 309.

ومن هنا انتهى الكفاح المسلح ضدّ الفرنسيين ونظام الحماية الفرنسية، ولكنّ التونسيون لم يرضخوا إلى ذلك بل استمروا في إيجاد فرصة سانحة لاستئناف نضالهم وتحقيق الاستقلال¹.

¹ - محمد المرزوقي، مرجع سابق، ص 129.

المبحث الثاني: بدايات النضال السياسي التونسي.

01 : المؤثرات الفكرية العربية والإسلامية:

ظهرت الحركة الوطنية في تونس كنتيجة عن الحركة الفكرية و المبادئ الثقافية التي كانت تدعو إليها المؤسسات الفكرية بشقيها الفكري والأدبي، حيث لعبت هذه الأخيرة دوراً هاماً في نشر الوعي الثقافي داخل أوساط البلاد التونسية، كما ظهرت نخبة من المثقفين والمصلحين الرافضين لمفهوم الاستعمار بصفة مطلقة، و لكن كان رفضهم بطريقة سلمية دون اللجوء إلى المواجهة العسكرية¹.

فالحماية الفرنسية بتونس نتج عنها تناقضات مختلفة، منها تحول المجتمع التونسي الريفى من نمط اقتصادي معاشي إلى نمط الاقتصاد الرأسمالي، وهذا تطلب فتح طريق المواصلات الذي اتخذته التونسيون كمعبر للتنقل محدثين تخفيض الفوارق بين الذهنيات القبلية وظهور وعي وطني تونسي كما أن التعليم العصري الفرنسي أدى إلى بلورة أفكار ثورية معادية للاستعمار، استمدتها الشبان التونسيون من خلال التعليم الفرنسي². وأيضاً تعدّ تونس من أكثر بلدان شمال إفريقيا أثراً بالحركة الفكرية والإصلاحية بالشرق العربي كحركة "جمال الدين الأفغاني"³.

¹ - محمد المرزوقي ، مرجع سابق، ص45.

² - عز الدين معزة، فرحات عباس و الحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899، 2000 م أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر غير منشورة، (إشراف: عبد الكريم بوصفصاف)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2010، ص 27 .

³ - (1839-1897) أفغاني الأصل ينتمي إلى اسرة شريفة ، من أهم رجال الإصلاح كانت له نظرة بأن إصلاح الحكم يكون عن طريق الشعب؛ للمزيد أنظر: أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، ص 60 .

و محمد عبده¹، ورشيد رضا والكواكبي² وعلى الورداني³، ولعل أهم هذه المؤثرات معهد الخلدونية الذي تأسس سنة 1896م فوضعت له برامج مكملة لما كان يُدرس بجامعة الزيتونة، إعتد في مبادئه على تدريس مختلف المواد من تاريخ و جغرافيا، الاقتصاد، الكيمياء و الرياضيات⁴، لعبت هذه المؤسسة بفضل مؤسسها الأول بشير صفر⁵ دوراً هاماً في نشر الوعي الوطني نظراً لما كانت تُلقيه من محاضرات و دروس ولغاتٍ عصرية⁶ حملت هذه المدرسة هدفاً أسمى وهو إثبات أن الدول الإسلامية بما فيها تونس يمكنها أن تُخرجه من الغموض و الإنغلاق الذي تعيشه دون الحاجة إلى وصاية أجنبية.

وكانت المؤسسة الخلدونية عبارة عن مشروع ثقافي، عمل على إقامة التوازن بين المناهج التعليمية التي أشرفت عليها السلطات الاستعمارية و المناهج التعليمية التقليدية التي سبق لها وأن برمجت بجامع الزيتونة ولعل من أبرز المتأثرين بهذا الاتجاه هو محمد السنوسي⁷.

¹ - (1849-1905) رجل إصلاحى نشأ وترى على صفات ورثها من والده، أهمها الفطنة و الذكاء و الثقة بالنفس، تعود أصول والدته إلى بني عدي، ترعرع في قرى الريف، للمزيد؛ انظر: نفسه، ص 291.

² - (1948-1962) يعود أصله إلى حلب، عرفت أسرته بنقابة الأشراف في حلب، لعب دورا كبيرا في الحركة الإصلاحية، عرف باتزانة في الكلام، للمزيد؛ انظر: أحمد أمين، مرجع سابق، ص 258.

³ - (1861-1905) قدم إلى تونس من بلدية أكوده، إحتل مكانة مرموقة ضمن النخبة المثقفة، كان من أول المنخرطين بالمدرسة الصادقية، أقام في قصر الصّدر الأعظم، إرتقى في وظيفته وبلغ أعلى المراتب، للمزيد؛ انظر: الصادق الزمّلي، أعلام تونسيون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 155.

⁴ - يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص 32.

⁵ - (1917-1965) ولد بمدينة تونس في 27 فيفري بمناسبة حلول عيد الفطر كان ثالث الابناء الذكور لدى ولديه، كان متأثراً بطبائع والده، أوفدته الحكومة التونسية ليكمل دراسته بمعهد سان لويس ببباريس، كان ميالا لحياة المرح، تلقى العديد من الأفكار و الحركات من المهاجرين، دعا إلى التحلي بالموضوعية؛ للمزيد انظر: الصادق الزمّلي، مصدر سابق ص 113.

⁶ - الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 33.

⁷ - مجموعة باحثين، تاريخ الأدب التونسي، ط1، المجمع التونسي للأدب والعلوم والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1993م،

كما تأسست أيضاً سنة 1888م جريدة الحاضرة على يد ثلاثة من الشباب الوطني التونسي تولّى إدارتها علي بوشوشة¹، عمل شباب هذه الحركة على شن حملات ضد السلطات الفرنسية الاستعمارية².

تولّت جريدة الحاضرة الخوض في جميع مواضيع الساعة، وفتح أعمدتها للنخبة التونسية الناطقة بالعربية لبسط أفكارها بلغتها الوطنية حول جميع المسائل التي لها علاقة بالحياة الاجتماعية و الثقافية و الأخلاقية بالبلاد. ومن بين أهم محرري هذه الجريدة محمد بن الخوجه³ و محمد الاصرم⁴. كما تأسست سنة 1905 م كبديل عن الجمعية الخلدونية جمعية قدماء الصّادقية، تولّى إدارتها خير الدين بن مصطفى⁵، غير أنّ المسيرّ الفعلي لهذه لهذه الجمعية والمشرف على غالبية أنشطتها الثقافية و هو علي باش حانبة⁶، ساهمت هذه

¹ (1859-1917) ينحدر من عائلة ماجدة من بنزرت، كان له اندفاع لدراسة اللغات العربية، الفرنسية والتركية، اختير من الأوائل ليتم الدراسة في أوروبا، اتّسم بالشموخ والمعارضة للصدغوبات، كان من مسيري المدرسة الخلدونية للمزيد؛ أنظر: الصادق الزمّلي، مصدر سابق، ص 133 .

² الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 33.

³ (1869-1942) ولد بمدينة تونس ، إلتحق بالمدرسة الصادقية في سن السابعة من عمره ثم بالمدرسة العلوية، عُين مترجماً بالكتابة العامّة للحكومة التونسية 1987م ساهم في الحياة الفكرية والثقافية كما شارك في تأسيس الجمعية الخلدونية، عُين والياً على مدينة قابس 1919م ، ثم أُحيل إلى التقاعد 1934م للمزيد؛ أنظر: محمد بن الخوجه ، صفحات من تاريخ تونس ، تق وتع: حمادي السّاحلي والجيلالي بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986م ص11.

⁴ (1858م-1925م) ينحدر من أصول عريقة من مدينة القيروان من ابرز المتأثرين بجامع الزيتونة و المدرس الصادقية وقع عليه الإختيار ليزاول الدراسة بفرنسا ويتطلع على الأفكار والمبادئ الجديدة، عُين معلماً بالمدرسة العلوية، وفرت له الجمعية الخلدونية فرصة لتحقيق آماله للمزيد؛ أنظر: الصادق الزمّلي، مصدر سابق، ص 179 .

⁵ (1867-1965) أجنبيّ الأصل كان جده عضواً بالجيش التركي، برع في فن الخط ،ألقبه والده بالمدرسة العلوية عُين مدرّساً بالصادقية رغم أنه كان لا يرغب بمهنة التدريس، أعدّ دبلوم الدراسات العربية العليا، نجح في مناظرة انتداب المترجمين العدليين لدى محكمة تونس، للمزيد؛ أنظر: الصادق الزمّلي، مصدر سابق ، ص 321.

⁶ (1870-1918) من أهم رجال النهضة التونسية، ينحدر من أسرة تركية عريقة ، ورث النفوذ وحب النظام من جده ،كان له طموح شديد لتحرير البلاد، درس بالصادقية وبعد حصوله على الشهادة دُعي لرئاسة الصادقية بصفة وكيل. للمزيد أنظر: نفسه ، ص143.

الجمعيّتي بعث الرّوح الوطنيّة والكشف عن مبادئ عصر التّنوير¹، وضعت قصد إحداث الجديد على مستوى الهياكل الثّقافيّة وعصرنتها واطّاع طابع الحداثة عليها².

وقد كان لخطاب البشير صفر سنة 1906م بمناسبة الإحتفال بتدشين "تكية"³ وهي "ماوى العجز"، بحضور المقيم العام "ستيفان بيشون" ثلر أكبراً أشار فيه إلى ضرورة إصلاح مناهج التّعليم بتونس⁴، ونبه البشير صفر من خلال خطابه إلى الحالة المتردّية التي التي آل إليها الشعب التّونسي في مختلف النّواحي من جرّاء انتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس⁵.

هذا وقد كان لصّحف الفرنسيّة موقفاً متشدّداً على الخطاب، وخاصة صحيفتي المعمرّ الفرنسيّة و تونس الفرنسيّة، ليتمّ فيما بعد عزل البشير صفر من مهامه وإبعاده من العاصمة التّونسيّة⁶.

غير أن الصّحافة الاشتراكية الفرنسيّة الصّادرة بتونس أيدت مطالب البشير صفر التي احتواها خطابه وطالبت بالتعامل مع التّونسيين معاملةً مغلّة، وحثّت على ضرورة إشراكهم في مختلف النّدوات والمؤتمرات قصد التّعرف على توجهاتهم و أفكارهم السّياسية كما كان لبعض الشباب التّونسي فرصة أن حضروا المؤتمر المنعقد في مرسيليا سنة 1906م⁷.

¹- خليفة الشّاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 66.

²- أحمد القصبّاب، مرجع سابق، ص 488 .

³- خليفة الشّاطر وآخرون ، مرجع سابق، ص 66.

⁴- عبد العزيز الثّعالبي، مصدر سابق، ص 10.

⁵- خليفة الشّاطر وآخرون ، مرجع سابق، ص 67 .

⁶- أحمد القصبّاب، مرجع سابق، ص 490.

⁷- مؤتمر استعماري انعقد في مرسيليا 1906م بمناسبة المعرض الاستعماري الدولي، للمزيد؛ انظر: أحمد القصبّاب، مرجع

كما نتج عن فشل المقاومة الشعبية المسلّحة والتي كانت كرد فعل عن الحماية الفرنسية بالبلاد التونسية أن ظهرت حرك اصطلاحية جديدة تتمثل في حركة الشّباب التّونسي (1907م-1912م) تدعو إلى القضاء على الوجود الفرنسي بتونس، وفق مطالب ثقافيّة و اجتماعيّة ، ثم بدأت تزاوّل نشاطها على المستوى السّياسي¹. مثّلت سنة 1907م تاريخ ظهور حركة الشّباب التّونسي بعد نشاطٍ ثقافيٍّ مكثِّ سبق أن قامت به مجموعة جريدة الحاضرة ، الخلدونيّة وقدماء الصّادقيّة².

بالإضافة إلى حزب تونس الفتاة والذي يعد أولى التنظيمات الوطنية التي قادت الحركة الوطنيّة المناهضة للاستعمار في الفترة ما بين (1907م-1912م)³، تأسّس بقيادة علي باش حانبه ، مؤكداً تجاوبه مع حركة تركيا الفتاة في الدّولة العثمانية⁴. كسبت هذه الحركة تأييداً ملحوظاً من قبل الشعب التّونسي صدر و عن حزب تونس الفتاة جريدة التّونسي النّاطقة باللّغة الفرنسيّة، ثم تم نشر طبعة منها باللّغة العربيّة⁵. وكان قد تولّى إدارتها والإشراف عليها الشيخ عبد العزيز الثّعالبي⁶.

¹ - خليفة الشّاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 66.

² - نفسه، ص 67.

³ - غيلان سمير طه النكريتي، الحركة الوطنية التونسية في سنوات ما بين الحربين 1918-1939، مجلة آداب الفراهيدي، ع13، ديسمبر 2013، ص 3.

⁴ - جلال يحيى، المغرب العربي الكبير الفترة المعاصرة، الدار القومية للطباعة والنّشر الإسكندرية، 1966م، ص 1073.

⁵ - علال الفاسي، مصدر سابق، ص 67.

⁶ - (1874-1944) رجل سياسي و مفكر تونسي نو أصول جزائرية ينتمي إلى أسرة العلامة عبد الرّحمان الثّعالبي، تزعم المقاومة السّياسية ضدّ الاستعمار الفرنسي، درس بتونس وتحصّل على ثقافة واسعة، انضم إلى الجمعية الخلدونية 1896م، بدأ النشاط السياسي 1911 بمساندة اللّيبين، نشر كتابه الشهير "تونس الشهيدة" 1919، أسّس الحزب الحر الدستوري 1920، تم اعتقاله من طرف فرنسا بسبب تقديم مشروعه السّياسي ، غادر تونس سنة 1923م شارك للمزيد؛ انظر: عبد العزيز، الكلمة الحاسمة، بقّ حسن أحمد جغام، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 9ص-28.

تميّز نشاط حزب تونس الفتاة بالسيرورة والدوام والمثابرة من أجل المضيّ قُدماً نحو نضال وطني مناهض لفرنسا و حمايتها. و لكن مع مرور الوقت لوحظ من قبل الاستعماريّون المتابعون لحركة الشّباب التّونسي أنّها بدأت تبتعد نوعاً ما عن ما طرح في مؤتمر مرسيليا، فعدوا إلى عقد مؤتمر جديد هو مؤتمر شمال إفريقيا الذي انعقد بنية الإيقاع بالحركة الوطنية، حيث حضره سبعة أعضاء من الحركة الاصلاحية برئاسة البشير صفر ومن خلال هذا المؤتمر تمكّن الشّباب التّونسي من تحقيق نجاح فكري تأثرت به أعداد كبيرة من الوطنيين التونسيين¹. وقد وقع أن خابت مطامح الشّباب التّونسي نتيجةً لمعاملات النظام الاستعماريّ الذي كان لا يستجيب لمطالبهم، ولكن امتدّ نشاط هؤلاء الشّباب الطوحين حيث أقدموا على عقد اجتماعات ناقشوا من خلالها قضية تجنيس اليهود التونسيين جنسية فرنسية²، حيث هبّ اليهود الفرنسيون لشنّ حملتهم ضدّ السلطة التّونسيّة قصد الانفصال عن الجنسيّة التّونسيّة، و كان موقف الصحافة الفرنسيّة الاستعمارية مؤيداً لهذه الفئة (اليهودية) بغرض تقوية الوجود الفرنسي في تونس ومشاكسة الوجود الايطالي القوي هناك (تونس).

ولكن الحركة الوطنية التّونسيّة وقفت موقف المجابه والمناهض لهذا المشروع لمقاطعة اليهود اقتصادياً وفكرياً، مما دفع بالسلطات الاستعمارية إلى إيقاف تطبيق القانون. ومن هنا اتّضح أن الحركة الوطنية التّونسيّة اتّخذت سبيل الحركة الوطنية في كل من إفريقيا و آسيا ذات طابع الكفاح القومي، و المظهر الإسلامي كردّ فعل عن الاحتلال الفرنسي³.

وفي ظلّ الحرب الايطاليّة التركيّة حول ليبيا وقفت حركة تونس الفتاة على توحيد الرّأي العربي الإسلامي في أقطار المغرب العربي مناهضةً للاستعمار، حيث كان لها الدور البالغ في الوقوف ضدّ الغزو الايطالي لليبيا 11 ديسمبر 1911م⁴.

¹ - الطّاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 41.

² - محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 114.

³ - الطّاهر عبد الله، مرجع سابق، ص ص 42، 44.

⁴ - مفيد الزّيدي، مرجع سابق، ص 202.

وأصدر الشباب التونسي على إثر ذلك العدوان جريدة الإتحاد الإسلامي حيث جاء في العدد الأول من هذه الجريدة: " فلا يتعجب الأوروبيون إذا رأوا قلوب المسلمين تخفق نحو تركيا، هذا الاعتداء الإجرامي الذي لا نسمح به ونعتبر هذا الاعتداء على الخلفية الحامي والمحمي والمدافع عن الأماكن المقدسة إنه اعتداء على الإسلام وعلى العالم الإسلامي كله ونحن التونسيون نعرب عن عداتنا الإيطالية ، ونرى هذا السلوك بمثابة العمل الوحشيّ الفريد من نوعه الذي عرفه القرن العشرين ولا تروّد ولا نخشى من اعتبارنا هذا الاعتداء بمثابة الإنسانية. كان يوجد في هذه

75000 يطالي بتونس وقف ليبيا و كانوا يتظاهرون يرفعون
تأييدا لحكومتهم في غزوها لليبيا¹ أيضا صدام بين القبائل التونسية
والإيطاليين وكانت².

1912 ي

المستخدمين التونسيين في الشدّ الأجنبيّ³.

02 : الحزب الحر الدستوري التونسي:

العالمية

الوطنية

دت لديه مال كبير السيادة التضحيات التي

¹-عزا لدين معزة، مرجع سابق، ص 55.

²- مقبرة إسلامية تقع في المدخل الجنوبي للعاصمة تونس، كانت لها مكانة خاصة لدى التونسيين للمزيد؛ أنظر: 45.

³- شارل أندي جوليان، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية (: منجلي سليم وآخرون)

1918	نيس الأمريكي "ويلسون"	صيغتها	
	في تقرير مصيرها		
	ماية البريطانيد ¹		
		" "	
1919 ²			قيام ثور
	بتاريخ جوان 1919	بيي المجاور	
	ميثاق		
	الوطنيين الطرابلسيين حيث		
	ليبيا	جريدة	ي
	أثير العميق في نفوس الوطنيين التونسيين ³		البلشفية
	هذه الظروف	تطوير	
	الوطني		الدولي
	ص من هيمند الحمايد الفرنسي		
	داخلي	عاشت البلاد التونسي عيد	
	العالمي	البشرية	نتيجة
	يراود الوطنيين التونسيين	1912	
	يطرة الاستعماريدي ⁴	ي العمل على توحيد الصد	
	من عبد العزيز الث		
		وليد مجموع	1

¹-(Habib) Boulaés, ;Histiure de la tunisie les grandes dates de la préhistoire a la révolution,editioncères,2012,p538-539.

² -محطات في مسار الحركة الوطنية التونسية، 1914 و 1920 ، مجلة الدراسات التاريخية ، 7

يصد معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1993 152.

³ - خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع 85.

⁴ - مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص 197.

التونسيّ

يطغى عليه

معنى الحقيقيّ

2

الذي كان فيه

باريس ي

رفقاؤه

ينظّ

مطالبين بإنشاء

حيث

في شهر جويلية 1919

عيد الفطر بعريضة

ين ب صريح

وعدم بتفعيل مطالب ا

الوطنيّ التونسيّ

سموه

الغاية منه في بيان

جاء فيه" الغاية تأسيس

و تبليغ الوطن رشده و تحريره من

يصبح الشد

وهو يريد

يصل لهذه الغاية عن طريق التّحقيق من

يضمن

يسير عليها كل العالم المتقدّ

3"

1920

ير " الشهيدة"

الكتاب الذي يحمل في طياته حقيقة

الحماية الفرنسية بتونس ويكشف

وأراضيه،

يبين

موقف التونسيين من حماي

4

حدث عبد العزيز الثعالبي ه

كبير

الفرنسية

حيث زج به

¹ - (1880-1966) ولد بقصر البخاري الجزائر، هاجر إلى تونس مع أبيه و عائلته بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، نشأة

أوروبية بحتة وتتقف ثقافة عالية ، أحرز على شهادة الحقوق بالجزائر وصار من أعلام الحركة الوطنية التونسية في

=بداية ق 20، جمعية علي ب . للمزيد؛ أنظر: أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح

الوطنية للنشر والتوزيع، ج1 222 - 224.

² - عبد العزيز الثعالبي، مصدر سابق، ص 14 .

³ - 52 .

⁴ - (Habib) boularés ,op-cit.p539.

إخراجه	سبيل	1	ضغطة الشديدي
		15	1920 صدرت جريد
		2	" "
	قيادته أ	16	1920
تأييداً	يجي يتونذ ³		ونسيدّ القديم
			استقطب العديد من التونسيين
	تسجيل جملة من		عمد الوطنيّ
		4	
	فرنسيين منتخبين بالا	تونسيي	تأسيس مجلس استشاري يتكون من
			د السيد
			✓ _ تأسيس
			✓ _ الفصل بين السلطات التشريعيّ التنفيذية والقضائية .
	تتوفر فيه	تونسيين في جميع الوظائف الاداريّ	✓ _
		لمترشحين الفرنسيين .	الثقافية
		الموظفين ذوي القدرات المتساوي في الوظائف دون تمييز .	✓
		تنظيم بلديات منتخبة بالاقتراع العام في جميع	✓

1- 54 .

2- 502 .

3- زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ص475.

4- (Habib) boularés ,op-cit,p539

	✓	تأسيس الجمعيات والتعليم الإجباري العام.
1	✓	ونسيين في شراء الزراعية
	هذه	إليها قيام سلط الحماية الفرنسية
		ع عليها في قصر السعيد 1881
		الحماية كان منافياً فاقية .
	غير	الفرنسيّ في تحقيق
	الحكومة الفرنسيّ	الوطنيّ
جديد	بتغيير المقيم العام و	"سان لوسيان" يعمل على تطبيق
	مؤدي	2 .
	الوطنية	هذه المناورات
	ليله تعامل	مع المقيم العا بتأسيس حزب رف فيما بعد
	1922	3 .
		زعماءه تأييداً " "
	الفرنسيين وجعله ذلك عرضة للمضايقات	
	الفرنسية، حيث حوَّصر قصره	
	ولم يمض	طويل حتى تُ الأخير
	الوطنية التونسية	4 .
	نديد	جديد
	الايجابي ال	تميدّ ياسية

¹ - أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص 187.

² - 56.

³ - إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ فريقا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2008 250.

⁴ - غيلان سمير طه التكريتي، مرجع سابق، 192.

و الحزب الحر الدستوري في تغيير وتطوير أساليب من حين غير ،
 1920 ن استيعاب التغيّ جتماعيّ قافية ياسد
 الاستعماريّ¹.

بداية سنة 1930 ينتاب الفرنسيين الوطنيّ التونسيّ

في سياسد كبرى ة، حيث
 السياسية حديثين قامت الفرنسية،

ونسبيين².

المبادرة الثانية فقد كانت مساندة رهبان الكاثوليك وتنظيم المؤتمر الأفخارستي بقراطج

50

هذه الحركة فلم تكن مواجهتها ذات صيغة دينية بقدر ما كانت نشاطاتها سياسية ضد
 الفرنسية³.

¹ - 532.

² - خليفة الشّ 94.

³ عبد الكريم غلاب 325.

المبحث الثالث : التعريف بشخصية الحبيب بورقيبة.

01: المولد و الأصول.

ولد الحبيب بورقيبة مع بداية القرن العشرين، في 03 1903 بمدينة المنستير التونسية¹ وحسب الحبيب بورقيبة فإن تاريخ ميلاده فيه نوع من الغموض يذكر أن لي خيرالله² يكبره بتسعة أشهر يقول إن صحت هذه الرواية فإن سنة ميلاده هي 1902³.

تاريخ حصوله على الشهادة الابتدائية 1913م فيرجع أنه من مواليد سنة 1901 رغم هذه الاختلافات فإن الحبيب بورقيبة قد د تاريخ الميلاد الذي تبينه الوثائق المثبتة لهويته منذ التحاقه بالمدرسة وهو 03 1903⁴. الطفل بورقيبة راه والده بحي القرايعية⁵ الواقع خارج حومة الطرابلسية⁶.
تزامن مولده مع ولاية الباي التونسي محمد الهادي⁷ يعد الحبيب بورقيبة ثامن ينحدر من أسرة ريفية فقيرة كان جدّه الحاج محمد بورقيبة الملقب بحومة الطرابلسية 1855⁸ ولقد تباينت الآراء حول اصول عائلة الحبيب

¹ - (Jean) la courtoure, **cinq homme et la France**, édition deseuil.france, 1961, p109.

² - هو حفيد عم الحبيب بورقيبة " حسن بورقيبة " ، للمزيد انظر الحبيب بورقيبة طفولة ومحيط اجتماعي 1912-1903 محاضرة ألقاها الحبيب بورقيبة حول تاريخ الحركة الوطنية التونسية 12-1973-10 .02

³ - الحبيب بورقيبة .02

⁴ - الصافي سعيد ، **بورقيبة سيرة شبه محرمة**، رياض الريس للكتب والنشر 2000 32-33.

⁵ - **زمن بورقيبة** 1 قناة العربية ، المملكة العربية السعودية، 25-12-2012 .12:00

⁶ - للمزيد، انظر: 02 106 03 107 04 108 .

⁷ - الدين معزة، .92

⁸ - عبد الوهاب الكيالي 2 .157

بورقبيّة فالبعض يذكر أنّها وافدة من منطقة " " المنستير في حين يشير البعض أنّها يونانية من جزيرة سالونيك¹.

وقد كان الحبيب بورقبيّة نفسه من المتساين ان نجد أنّ لقب بورقبيّة من صغيرة التي غالباً تطلق على الوافدين ليبيا ومع ذلك فان هناك افتراض عام يؤكّد أنّ عائلة الحبيب بورقبيّة ذات أصول عثمانية فهي عائلة إسلامية يمكن القول أنّ الحبيب بورقبيّة لا ينتمي التونسية لا من ناحية ناحية وأبيه.

02 : التكوّن الاجتماعي والثقافي.

نشأ الحبيب بورقبيّة في حضن عائلته الفقيرة³ حيث يقول الحبيب بورقبيّة في هذا "أن سبب فقر عائلته يعود احتجاز أملاك جده ووضعها تحت المراقبة اثر " التي حدثت في ربيع 1864⁴ يقوم بتنفيذ بتنفيذ أوامر الباي لمصادرة أملاك الذي كانت تعيشه

الذي دفع بوالد الحبيب بورقبيّة إلى الاستقرار بعيدا عن هذه جواء بمنزل آخر مع أولاده⁶. لم يكن والد الحبيب بورقبيّة قاد

¹ - الصّافي سعيد، مرجع سابق ، ص 34.

² - 35.

³ - مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص 202.

⁴ - الحبيب بورقبيّة، مصدر سابق، ص 05.

³ - جان غاناج، ثورة علي بن غدام 1864 : لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، دار التونسية للنشر، تونس، 1965

.11

⁶ - صافي سعيد، مصدر سابق، ص 32.

- بلغ سن الشيخوخة فقرر توجيهه 1907¹. لتسجيله في المدرسة
الصادية وهو يقارب 6 مفاقة والدته والعيش بعيدا عنها
ترك في نفسه وقع شديد وجعله يشعر فيما بعد بعطف خاص تجاهها². لم يشهد الطفل
بيب بورقيبة في صغره تكوين الولد المحفوظ والمدلل، حيث عاش حرمان
قساوة زوجة أخيه وصرامة أخيه³.
تابع تعليمه الابتدائي بالمدرسة الصادقية رغم قساوة الحياة والوضعية الصّ
يعيشها⁴ الابتدائية التي توفيت فيها والدته وكان ذلك قد
يدة أثرت في نفسه كطفل بدرجة كبيرة⁵.
يعد بعد ذلك مدركا لمصيره بين إخوته الذين كانوا يمانعون فكرة مواصلة دراسته
باستثناء أخيه " " " " دراسته الثانوية،
درس اللغة الفرنسية، الرياضيات والفلسفة⁶.
ض الحبيب بورقيبة الى مرض خطير في الصدر نتيجة للفقر وسوء التغذية
الذي جعله يتوقف عن الدراسة ويقوم بمصحة ادقية، فأنجحت
"تونس الشهيدة" لعبد العزيز الثعالبي ذي ترك في نفسه⁷
خذ الحبيب بورقيبة من زميله الط⁸
-
- 1- بيب بورقيبة، 04.
- 2- (Jean) La coutoure, op,cit , p 110.
- 3- الصافي سعيد، 37.
- 4- الحبيب بورقيبة، 7.
- 5- سمير عبده، التحليل النفسي لزعماء سياسيين 1 2005- 65.
- 6- الصافي سعيد، 47.
- 7- 18.
- 8- 1830م درس بالصادقية ومعهد كارنو بكلية الحقوق في باريس، من مؤسسي الحزب الدستوري الجديد، ساهم
في إدارة وتحرير العديد من الصحف الوطنية باللغة الفرنسية، توفي سنة 1942، تهميش رقم 4، للمزيد؛ انظر:
التحرر الوطني و وحدة المغرب العربي لدى احمد بن بلة وصالح بن يوسف، دراسة تاريخية مقارنة 1945-1961،
الماجستير في التاريخ غير منشورة، (:)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014، 56.

على تناول المواضيع قولاً وتحريراً¹ من البحري قيقة¹ فقد تعلم شغف الحياة وطريقة التعامل مع أساليبها².

اكتسب الحبيب بورقيبة تكويناً عربياً إسلامية صحيحة من خلال دراسته بالمدرسة الصادقية على يد مشايخ الزيتونة حسب شهادة "البشير بن سلامة" وزير الثقافة التونسي في زمن بورقيبة والذي يذكر أن الحبيب بورقيبة كان من المهتمين مثل شعر الطيب المتنبي، لاء المعري، علاوة على حفظه للقرآن الكريم، ويقول أن رسائل الحبيب بورقيبة سيلاحظ أن جميعها تحتوي على آيات وأحاديث نبوية شريفة³.

تحصل الحبيب على شهادة البكالوريا انفتحت له أبواب باريس وجامعة لمواصلة مسيرته الجامعية، حيث كانت الحركة الفكرية والثقافية في فترة ما بين ربين العالميتين درجة عالية من النشاط . اختيار بورقيبة قد وقع على فرنسا لتكون يات الفكرية والتعددية الحزبية منذ الثورة سية، فالدراسة بجامعاتها تتيح للمتخرجين فرص التكوين السياسي والايديولوجي⁴.

ل دراسة الحقوق ليتعرف على أحوال المجتمعات وأنظمتها وكان في الوقت يدرس علم النفس بكلية الآداب والمالية العامة بمعهد العلوم السياسي⁵ الذي كان بورقيبة يزاول دراسته بباريس كان منبهاً ومنطقيين " فيكتور هيقوالذي مثل بالنسبة له الخيال اللام والذي أصبح بورقيبة يستند على أفكاره في مختلف منعرجات حياته ة في القضايا الكبرى. ر أي "

¹ - 4 مارس بتاستور، من المؤسسين لجريدة العمل التونسي سنة 1932م، من أعضاء الديوان السياسي الأول للدستور الجديد بعد تأسيسه سنة 1934 1938م للمزيد؛ أنظر: نجاة عبّو، نفسه، تهميش رقم 20 56.

² - الصافي سعيد، مصدر سابق، ص 47.

³ -

⁴ - بين معزة، 108.

⁵ - سمير عبده، 64.

" خلاله منهجياً فكيراً في التنظيم السياسي

فقد كانت نظرية العقل الايجابي " " قد أدخلت الحبيب بورقيبة الى عالم

1.

الحبيب بورقيبة أيضاً فكان أكثر استيعاباً للحضارة الغربية

نواميسها بزعيم الاشتراكية الفرنسي " جون جوريس" ² كما أن الحبيب بورقيبة كان

شديد التّأثير أهمية البعض من شخصيات الماضي والحاضر ومتمتعاً

اختر الكفاح المسالم ضد بريطانيا³.

وأثناء دراسة الحبيب بورقيبة بباريس تعرف على

والتي أصبحت فيما بعد زوجته وأما الوحيد "الحبيب"⁴.

ج من كلية الحقوق سنة 1927 م عاد بورقيبة بصحبة زوجته وابنه

تونس لينخرط في سلك ⁵ ولكن مهنته هذه لم تلهه

والوحيد وهو الانشغال بالسياسة كما فيما بعد الأمير

6.

لميكيافيلي

ولقد كانت تجربة باريس التي مر بها الحبيب بورقيبة ذات أهمية كبيرة وأثر بالغ في

التكوين الفكري والثقافي لشخصية الحبيب بورقيبة، حيث يذكر في ذلك عبد الجليل التميمي

قوية برؤيته للغرب قد تشرب بفلسفة أوروبية تنويرية من خلال حضوره للمعارك

¹ - افي سعيد، 76-77.

² - قدارة شايب، الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري (1943-1954) دراسة مقارنة تاريخية

فكرية دكتوراه غير منشورة، (عبد الرحيم سكفالي) قسنطينة 2001 158.

³ - الصافي سعيد، 63-64.

⁴ -

⁵ - للمزيد؛ انظر : 5 109.

⁶ - سمير عبده، مرجع سابق، ص 67.

الفصل الثاني :

النضال الوطني للحبيب بورقيبة.

المبحث الأول: الحبيب بورقيبة والعمل السياسي

المبحث الثاني: تونس تنقاد نحو الاستقلال

(1956-1952)

تمهيد :

يتناول هذا الفصل النضال الوطني الحبيب بورقيبة بداية من سنة 1933م وإلى غاية إستقلال تونس 1956م وكيفية دفاعه عن الهوية التّونسية من أجل إسترجاع سيادة البلاد التّونسيّة التي كانت تحت سيطرة نظام الحماية الفرنسيّة.

كما سنتطرق إلى أهم المؤثرات التي كان لها الوقع الشديد في شخصيّة الحبيب بورقيبة و التي جعلت منه رجلاً سياسياً بالدرجة الأولى، مبرزين موقف الحركة الوطنيّة من التحاقه بالنشاط السياسي خاصة بعد انخراطه داخل الحزب الحر الدّستوري التّونسي إلى جانب كل من عبد العزيز الثّعالبي، أحمد الصافي وصالح فرحات، كما سنبيّن نشاط الحبيب بورقيبة من خلال الحزب الدّستوري الجديد بعد الشّقاق الذي حصل بين الدّستورين القدماء والشباب الجديد محاولاً بذلك إيصال القضية التّونسية إلى الرّأي العربي (المشرق والمغرب) والرّأي الدّولي. إلى جانب دوره في قيادة تونس نحو الاستقلال من خلال الثّورة المسلّحة 1952م والمفاوضات التّونسية الفرنسيّة.

المبحث الأول : الحبيب بورقيبة والنضال السياسي.

01: ظروف التحاق الحبيب بورقيبة بالنشاط السياسي:

بدأ الحبيب بورقيبة في مزاوله العمل السياسي في سن مبكرة، وكان لا يزال بالمدرسة الصادقية فأدرك ضرورة العمل والتضحية والمثابرة من هناك¹ وعلى الرغم من انشغاله بالدراسة فإن ذلك لم يمنعه من تتبّع الأحداث التي كانت تجري بتونس والأوضاع التي كانت تؤول إليها الحركة الوطنية التونسية منذ بدايتها². ولعلّ أهم تلك الأحداث حادثة معركة الزلّاج 1911م الدامية التي أحدثت من خلالها الأهالي التونسيون ضجّة كبيرة بعد ما أرادت السلطات الفرنسية ضمّ المقبرة التي كانت من أحباس العائلة التونسية إلى البلدية³ حيث يقول السيد "عمر الشادلي" وزير الصحة في زمن بورقيبة وطبيبه الخاص في هذا الشأن: "أثارت حادثة الزلّاج في نفسية الحبيب بورقيبة تساؤلات عديدة رغم صغر سنه وخاصة بعد حضوره في حادثة شنق الجر جارو الخضراوي" الذين قادا المسيرة ضد فرنسا وقبت في ذهنه فكرة أنه كيف للإنسان أن يضحي بنفسه في ما يخص مبدأ⁴. ثمّ لّنّ حوادث محطات الترامواي 1912م واحتجاج الأهالي التونسيين على احتلال طرابلس من طرف الإيطاليين تركت بصمة شديدة الوقع في نفسية بورقيبة الذي واكب هذه الأحداث و كذلك حدث نفي علي باش حانبه إلى الأستانة (إسطنبول)⁵.

¹ - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق .

² - (Ahmed) kassab(Ahmed) ounaies et autres, **Histoire générale de la Tunisie, l'époque contemporaine,(1881-1956)** T3,sud édition tunisie.2010,p399.

³ -أحمد إسماعيل راشد، مرجع سابق، ص 151.

⁴ - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

⁵ -علاّل الفاسي ، مصدر سابق، ص 51.

كما كان لجنّازة البشير صفر 1917م دور في تأمل الحبيب بورقيبة السياسي حيث أذهلته الحشود الحاضرة في الجنّازة من كل ناحية وصوب، ولفت انتباهه الحزن الشديد الذي بدى على وجوه التونسيين عامة وعلى والده بصفه خاصّة¹، جميع هذه الأحداث زرعت في شخصية الحبيب بورقيبة الطّفل روح التّأمّل والتّفكير وبدأت مداركه السياسيّة تتضح في سن مبكّرة فاستطاع من خلالها استيعاب المحنة التي تعيشها بلاده نتيجة السّيّطرة الفرنسيّة².

وكان إعجاب الحبيب باتجاهات الحزب الدستوري واضحاً و لم يتمكن من إخفاء ذلك الإعجاب لقادة الحزب أمثال "عبد العزيز الثعالبي"، أحمد الصافي و صالح فرحات حتى أنه لمّا قرر الدخول إلى الميدان السياسي وجد نفسه يعيد تاريخ الشّيخ الثّعالبي ولكن حسب منهج أبناء جيله³، و يظهر لنا أسماء علي باش حانبه، عبد العزيز الثّعالبي والبشير صفر أصبحت علامات مضيئة في طريق الحبيب بورقيبة السياسيّة فيما بعد.

كما أنّ بورقيبة ساهم في أولى المظاهرات التي نظمت احتجاجاً على بعض إجراءات المقيمين العامّين وساند مختلف مبادرات الشّيخ الثّعالبي في إدخال صفة التّحرر على القانون الأساسيّ للدولة⁴.

وقد كان التحاق الحبيب بورقيبة بالنّشاط السياسي في تونس قصد تحقيق هدف أسمى، وهو رغبته الشديدة في الانتقام من فرنسا وتخليص بلاده من العبودية و لعل اختياره لدراسة القانون كان كفيلاً بدفاعه عن القضايا الفردية و قضية الشعب التونسي⁵.

يذكر أحمد القصاب في كتابه "تاريخ تونس الحديث والمعاصر (1881م - 1956م)" أنّ الحبيب بورقيبة انخرط إلى جانب الثّباب الدّستوريّ بين في الحزب الحر الدّستوري التونسي

¹- (Jean)la coutoure op-cit,p111.

²- مركز زايد للمتابعة، مرجع سابق ص9.

³الصدّافي سعيد، مصدر سابق، ص21.

⁴- محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

⁵- أحمد القصاب مرجع سابق، ص542.

سنة 1922م، لما وجه برقية إلى المقيم العام احتجاجاً عن تعطيل جريده الصواب التونسية¹.

لقد اندفع الحبيب بورقيبة نحو العمل السياسي بعد التجربة التي عاشها في فرنسا ما بين (1924م و 1927م)، والتي اكتسب من خلالها رؤيةً جديدةً حولها بدور ه إلى منهجه في العمل والتي تمثلت أساساً في إعجابه بحضارة فرنسا من جهة، ورفضه لسياستها الإستعمارية من الجهة الأخرى، وهو ما كان يلخصه في مقولته الشهيرة "إخراج فرنسا عبر فرنسا"². حيث اغتتم الحبيب بورقيبة فرصة تواجده في باريس لإقامة علاقات مع بعض الشُّبان المتحررين و بعض ممثلي الحركة القومية العربية ومنها المغاربة بشكل خاص وفي مقدمتهم الزعيم الدستوري السوري الأمير شكيب أرسلان³.

كما أنه تأثر كثيراً بالأحداث السياسية العالمية وكان كثير التأمّل فيها، ومن بينها إنتصار اليساريين الفرنسيين بزعامة "الوارد هيريو و ليون بلوم" وأيضاً تأملاته في مقوله الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت والتي أصبحت شعاراً ينادي به حبيب بورقيبة في سياسته "الحياة من أجل الغير"⁴.

وإلى جانب ذلك كان الحبيب بورقيبة يحضّر اجتماعات مجلس الأمة ومجلس الشيوخ واجتماعات عامة أخرى تجمعهم مع طلاب من أجناس وأقطار مختلفة حيث كان موضوع

¹ - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

² - (Ahmed) kassab (Ahmed). ounaies,op-cit,p399

³ - مناضل سياسي قومي عربي كان يطلق عليه اسم أمير البيان ولد الشيقات ،درس بمدرسه الانجليز ثم انتقل إلى مدرسه الحكمة في بيروت 1886 ميلادي دعا إلى الجامعة الإسلامية عرف بمواجهه الغرب الخاصة بفرنسا وانجلترا، كما دعي إلى الوحدة العربية انتخب سكرتيراً للمؤتمر السوري الفلسطيني ثم رئيساً على المجتمع العلمي العربي بدمشق أهم آثاره مجلة الأمة العربية تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا، وحاضر العالم الإسلامي للمزيد؛ أنظر :عبد الوهاب الكيالي، ج 3، مرجع سابق، ص 488.

⁴ - أرتور كونت، مرجع سابق، ص 25.

تلك الملتقيات غالباً ما يدور حول حق الشعوب في تقرير مصيرها، أو حول قضية نزع السلاح، أو حول الإشتراكية والشيوعية، ثم إنَّ الحبيب بورقيبة كُتِبَ له أن يحضر حفل نقل رفات الزعيم الاشتراكي "جان جوريس" إلى مقبرة "البانيتون" حيث مدفن عظماء الفرنسيين¹.

كما عُرِفَ عن الحبيب بورقيبة تأثره بمبادئ الثورة الفرنسية التحريرية و طرق عمل الأحزاب اليسارية بقدر ما واكب التطورات الحاصلة في بلدان المغرب العربي ولاسيما وثورة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي² (1921م-1926م) ضد الإسبان والتي تركت أثراً عميقاً في نفسية الطلبة التونسيين بفرنسا و من بينهم الحبيب بورقيبة³، والذي كان شديد الحرص على التعرف عن جميع الأحداث السياسية التي كانت تجري في تونس مثل تدهور شخصية عبد العزيز الثعالبي وحادث اعتقال محمد علي الحلبي، كما كان على علم بتلك الحملة التي قام بها الكاتب المفكر الطاهر الحداد في سبيل تحرير المرأة المسلمة، إضافة إلى تأمله في شأن ألمانيا وإنجلترا والتجربة السوفياتية والتي كان يستخلص منها العديد من العبر⁴.

لكن لم يشأ الحبيب بورقيبة الاندماج بصفة مباشرة في العمل السياسي قبل أن يصبح من أعيان البلاد، فهو كان يرى أن السياسة في ذلك الوقت كانت من اختصاص أبناء العائلات الكبيرة، وفضل الانتصار لحين كسب الوقت والمزيد من الشهرة وكان يقترب من

¹- ارتور كونت، مرجع سابق ص 26.

²- (1888م- 1944 م) من قبيلة أمازيغية والده عبد الكريم الخطابي حرص على تربيته وتعليمه، درس اللغة العربية حفظ القرآن الكريم ثم توجه إلى مدرسة القرويين لدراسة الفقه الإسلامي تقلد مناصب عديدة مارس مهنة التعليم ثم أصبح صحفي لجريدة تلغراف في الريف ثم قاضي القضاة في مكتب الشؤون الأهلية ساهم إلى جانب والده في مقاومه الاحتلال الاسباني في جبال الوسط، ثم خلفه بعد 1920م، تم أسره في احد السجون وأصبح قائداً للمقاومة الريفية سنة 1944م للمزيد؛ انظر: محمد عبد المالك الزغيبي، **مائة من عظماء امة الإسلام غيروا مجرى التاريخ**، ط 1، دار التقوى للنشر الاسكندري، 2010، ص 17.

³- خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 95.

⁴- شهيرة أحمد الذكري 16 لوفاة الزعيم بورقيبة، قناة نسمة التونسية، 06 أبريل 2016م، سا 10:00.

الجمهور التونسي تدريجياً من خلال إلقاءه الخطابات بحكم موهبته في التمثيل التي أهلتها إلى فن الخطابة¹. وقد أظهر الحبيب بورقيبة أفكاره الجديدة التي كان يتميز بها من خلال مشاركته في الصحف المحلية التي كانت تصدر غالباً باللغة الفرنسية² وبعد أن امتلك مكتبه الخاص لممارسة مهنة المحاماة وأصبح يتطلع أكثر إلى السياسة³. حيث ظهر اسم بورقيبة على صفحات جريدة "صوت التونسي" التي كان يديرها الشاذلي خير الله وغالباً ما كان بورقيبة يحدث بلبله من خلال مقالاته في الجريدة⁴.

وبما أن الصحافة في ذلك الوقت كانت المنبر الوحيد للأصوات الغاضبة من سلطة الحماية فللحبيب بورقيبة أصبح يخصص نصف وقته للكتابة الصحفية وبرزت معه أسماء كثيرة على صفحات جريدة صوت التونسي كعبد العزيز العروي، صالح فرحات، وقد كتب بورقيبة في أحد مقالاته ما يفيد "أن الأحوال الواقعة في تونس لا يمكنها أن تدوم وأن أمن فرنسا لا يستقر إلا إذا وجدت الدولة التونسية من تفهم وتعاون معها وأنه أفضل لفرنسا أن تساعد على بحث هذا الوضع الجديد من أن تمضي في تعكير الأحوال و دفعها من سيء إلى أسوأ⁵، الأمر الذي أزعج سلطات الحماية الفرنسية فأحال المقيم العام بيروتون مجموعة صوت التونسي إلى المحاكمة ولكن الضغط الشعبي التونسي والمظاهرات استطاعت أن تكون محاربة للسياسة التي تتبناها فرنسا تجاه الصحافة المحلية التونسية⁶.

ولكن سرعان ما ظهر الشقاق داخل الحزب الدستوري بسبب الخلاف الذي جرى بين الحبيب بورقيبة والشاذلي خير الله⁷، الذي كان يشعر أن بورقيبة أصبح يقلقه بالأسئلة الكثيرة،

¹ - الصافي سعيد، مصدر سابق، ص 82 - 83.

² - (Jean) la coutour, op-cit, p116.

³ - جلال يحي، العالم العربي الحديث - الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين، المكتب الجامعي

الإسكندرية، 2003م، ص 707.

⁴ - خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 96.

⁵ - الصافي سعيد، مصدر سابق، ص 96.

⁶ الطاهر عبد الله مرجع سابق، ص 58.

⁷ - شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 414.

الكثيرة، بينما بورقيبة كان يرى أن الشاذلي خير الله أصبح يتعاون مع المقيم العام¹ الأمر الذي دفع بالحبيب بورقيبة إلى التعاون مع بعض رفاقه الذين لهم نفس تكوينه والذين يشاطرونه آرائه مثل محمود الماطري²، الطاهر صفر، البحري قيقة، و تأسيس جريدة العمل التونسية بعد الانفصال عن جريد الشاذلي خير الله في 1 نوفمبر 1932 التي أصبحت انجع سلاح للكفاح³. والتي أبرز الحبيب بورقيبة من خلال صفحاتها جرأته ووضوحه محاولاً محاولاً لفت الإنتباه لما كان يحدث في تونس في أول عدد من الجريدة يوم 1 نوفمبر 1932⁴، وقد كانت الجريدة قد خصصت ركناً يهتم بالقضايا الداخلية للبلاد التونسية، كما شرع بورقيبة في نشر سلسلة من المقالات " الساحل يحتضر " 7، 15، 17 ديسمبر 1932⁵.

02: الحبيب بورقيبة والحزب الدستوري الجديد 1934.

لقد عرفت الحركة الوطنية التونسية ما بين 1931-1932م استفاقة ناتجة عن مجموعة من العوامل خاصة بعد قضية التجنيس التي دفعت بالحزب الدستوري التونسي إلى استعادة نشاطه بفضل عمل الشبان الجدد و على رأسهم الحبيب بورقيبة⁶ الذين تجمعوا حول جريدة العمل التونسي وظهروا موقفهم من خلال المواجهات العنيفة مع الإدارة الاستعمارية، وبيّنوا تأدّهم بمسألة التجنيس التي أصبحت في صدارة القضايا الوطنية مع

¹ - الصافي سعيد، مرجع سابق، ص 81.

² - (1897-1972) طيب ومناضل ورجل سياسي تونسي، ولد في مدينة تونس أواخر شهر ديسمبر 1897 كان والده تركي من أصل يوناني، تتحدّر أمه من عائلته فارح الأندلسية، زاول دراسته الابتدائية بالمدرسة الصادقية، عين في شهر أكتوبر 1916م معلماً بناحية المرسى، تحصل على شهادة البكالوريا 1918-1919، ثم انخرط بكلية العلوم والمدرسة الطبية، درس بكلية الطب بباريس تحصل على شهادة الدكتوراه 1926، شارك إلى جانب الحبيب بورقيبة في قيادة تونس نحو الاستقلال من خلال رئاسة الحزب الدستوري الجديد بداية سنة 1974، توفي سنة 1972 للمزيد؛ أنظر: الصادق الزمرلي، مصدر سابق ص 355.

³ - (Ahmed) kassab, ahmed unaies, op cit, p400.

⁴ - أنظر: الملحق رقم 06، ص 110.

⁵ - خليفة التّلّطر و آخرون، مرجع سابق، ص 96.

⁶ - محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 121.

مطلع الثلاثينات حيث قاموا بشن حملتهم القويّة ضدّ قانون التّجنيس¹ الذي أصدرته الإدارة الاستعمارية لتجنيس العرب التّونسيين بالجنسية الفرنسية².

وقد تميّز نضال الحبيب بورقيبة بدفاعه عن قداسة المقابر الإسلاميّة، حيث كان متمسكاً بفتوى الشّيخ إدريس المفتي لمدينة بنزرت، والتي كانت تجعل من المحظور دفن المتجنّسين في مقابر المسلمين، وكان بورقيبة من المعارضين للحيلولة دون حدوث ذلك الدّفن، فكثرت الاحتجاجات والمظاهرات وبرزت الرّوح الوطنيّة جليّة وأصبح الوضع خطيراً إلى حدّ أنّ المعمّرين الفرنسيّين طالبوا بعزل المقيم العام "مونصرون"، وحلّ محلّه بيروطون³. ومن هنا انبعثت الحركة الوطنيّة التونسيّة انبعاثاً جديداً وبدأ الحزب الدستوري محاولاته في جمع شمله و توحيد صفوفه لبناء الحزب من جديد على أسس قويّة ووضع خطة ملائمة لتطبيق ما اكتسبه التّونسيين من تعبئة شعبيّة ووعي قومي⁴ وفي سنة 1933م عقدت اللّجنة التّنفيذيّة للحزب الحرّ الدّستوري مؤتمراً استثنائياً أيام 12-13 ما انتخبت فيه جماعة جريدة العمل التّونسي في اللّجنة التّنفيذية للحزب الدّستوري وهم كالتّالي محمود الماطري، الطاهر صفر، بحري قيقة، الحبيب بورقيبة و شقيقه محمد بورقيبة⁵.

عُرف هذا المؤتمّر باسم مؤتمّر قسم الجبل انعقد من أجل تحديد أهداف الحركة الوطنيّة التي يلتزم بها الحزب الحرّ الدّستوري لمزاولة نشاطه⁶ خاصة بعد الأمر الذي

¹-تقدارة شايب، مرجع سابق، ص 110.

²- الطاهر عبدالله، مرجع سابق، ص 58.

³- ارتور كونت، مرجع لسابق، ص 34

⁴- الحبيب ثامر، مصدر سابق، ص 92.

⁵- (1882-1956) وهو شقيق الحبيب بورقيبة ولد بالعاصمة التونسية سنة 1882 ترعرع داخل أسرته متواضعة درس مبادئ اللغة العربيّة، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، التحق بجامعة الزيتونة لمواصلة دراسته، عرف عنه اهتمامه بالميدان الصحفي، انشأ سنة 1889 جريده نتائج الإخبار في 1896 انشأ جريده لسان الحق، اكتسب ثقافة قانونيه مكنته من ممارسه مهنة المحاماة في المحاكم التونسيّة، تطلع لدراسة اللغة الفرنسيّة، ساهم في إنعاش الحياة الثقافيّة والسياسية =بتونس كما كان له دور كبير في تحرير جريده البرهان، توفي سنة 1956 للمزيد؛ انظر: الصّادق المرلي، مصدر سابق،

⁶- شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 414.

أصدرته إدارة الحماية الفرنسية في 6 ماي 1933م، والذي كان يقضي بوضع الوطنيين التونسيين تحت المراقبة الإدارية، و قد كانت تعمل جماعة العمل التونسي على التخلص من الحساسية داخل الحركة الوطنية والالتزام بميثاق قويّ بمبدأ السيادة و يعبر عن طموح الشعب التونسي¹.

وقد أسفر مؤتمر قسم الجبل على تحديد الأهداف الوطنية التي يسعى إليها الحزب في نضاله كما طالب المؤتمر بقيام برلمان تونسيّ منتخب بالاقتراع العام و تشكيل حكومة مسئولة أمام البرلمان ومنح الحريات العامة للتونسيين وجعل التعليم إجبارياً². كما صدر عن المؤتمر ميثاقاً وطنياً يبين في مضمونه أنّ سياسة التفاهم مع فرنسا قد بلغت درجة عالية من الفشل ولأنّ غاية الحركة الوطنية هي تحرير البلاد ومنحها دستوراً يحفظ شخصيتها، ويحقّق لها حريتها بين الشعوب المضرّفة في شؤونها³.

وكان الحبيب بورقيبة قد ألقى خطاباً لخصه في مقال صدر في جريدة العمل التونسي يوم 15 ماي 1933م أورد فيه قرارات المؤتمر⁴. ولكن المقيم العام الفرنسي "مانصرون" أظهر موقفه لجاه ذلك وقرر حلّ الحزب الحرّ الدستوري التونسي و إيقاف الصّحف الناطقة باللّغة الفرنسية، ولكنّه في الوقت نفسه قام بتخصيص مقبرة لدفن المتجنّسين، و كان ذلك انتصار أحرزته الحركة الوطنية التونسية و جماعة العمل التونسي بوجه خاص⁵.

وفي صيف 1933م طُرحت من جديد على الميدان السياسيّ أزمة المتجنّبين بعد فترة وجيزة من الهدوء، واعترض سكّان مدينة المنستير عن دفن طفل صغير ابن تونسي متجنّس بالمقبرة الاسلامية، وتفاقت المظاهرات الشعبيّة تضامناً مع مدينة المنستير في كل من

¹- خليفة الشاطر و آخرون، مرجع سابق، ص 100.

²- محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

³- الحبيب ثامر، مصدر سابق، ص 91 .

⁴- خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 101.

⁵- علا الفاسي، مصدر سابق، ص 74.

سوسة والسّاحلين¹. وقد انظمّ الحبيب بورقيبة إلى صفوف الأهالي الرّافضين لدفن المتجنّسين ورافقهم بصفته محامٍ في زيارة إلى الباي 4 سبتمبر 1933م الأمر الذي أثار انزعاج اللّجنة التّفيذية للحزب الدّستوري واعتبروا تصرف بورقيبة منافياً للقوانين الداخلية².

وبما أنّ الحبيب بورقيبة لم يرضى بالمعاملة التي تلقّاها من طرف اللّجنة التّفيذية للحزب الدّستوري بعد أن وجهت له لوماً على تصدّفه الانفرادي، فإنه اغتتم هذه الفرصة ليقدم استقالته من اللّجنة التّفيذية يوم 9 سبتمبر 1939م. وأنكر جميع التّهم الموجهة إليه³ حيث يقول "محمود الماطري" في هذا الصّدّد: "وقد كنا شاعرين والحقّ يقال أنّ أعضاء اللّجنة التّفيذية القدماء كانوا يبحثون عن خصومات معه بلا موجب⁴. ويضيف" في 09 سبتمبر 1933م قدّم بورقيبة استقالته من اللّجنة التّفيذية وقد استاء من الإجراءات المتخذة من مبرر، فانسحبنا جميعاً من اللّجنة التّفيذية في شهر نوفمبر 1933م⁵.

وقد كان المقيم العام الجديد "بيروطون" يحاول بأيّ طريقة تقوية الشّقاق داخل الحزب الدّستوري لأنه كان على علم بالخلافات التي كانت قائمة بين قادة الحزب، فعمل جاهداً على توسيع شقّة الخلاف معتمداً في ذلك على إجراءات التّهدئة، وأظهر عطفه و استعداده للتعامل مع الدّستوريين بعد أن اجتمع بأقطابهم ووافق على بعض مطالبهم⁶.

وأحدثت اللّجنة المكلفة بإعداد الإصلاحات وعين على رأس جامع الزيتونة الشيخ "محمد الطّاهر بن عاشور"⁷، حيث كانت جميع التدابير التي قام بها "بيروطون" قد مكّنته من

¹ - قدارة شايب، مرجع سابق، ص 133.

² - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

³ - يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص 246.

⁴ - قدارة شايب، مرجع سابق، ص 131.

⁵ - قدارة شايب، مرجع سابق، ص 132.

⁶ - علّال الفاسي، مصدر سابق، ص 75.

⁷ - (1879-1973) قاضي و علامة تونسي، ولد سنة 1879 اجتاز مراحل التّعليم التقليدي بخطى سريعة، ارتقى إلى مهنة مدرس ثم أستاذ، اشتغل بالمدارس المرموقة كجامع الزيتونة والمعهد الصّادقي، إلى أن أصبح قاضياً مالكيّاً، اكتسب

من الإطلاع على الخلافات التي كانت قائمة بين جماعة العمل التّونسي وزعماء الحزب الدّستوري¹. بعد أن انشقّ زلّعماء الجدد عن اللّجنة التّنفيذية للحزب الدّستوري و على رأسهم الأخوان بورقيبة حيث أصبحوا يعملون من أجل التّمسك بمقاليد الحزب². وعن هذا الانشقاق يقول الحبيب بورقيبة نفسه: "وأدركت عندما علمت بلائحة اللّوم ضدّي أنّ القصد من إدخاله بعضوية اللّجنة التّنفيذية هو وضع وثاق يشدني، وإقامة العراقيل في وجهي للحيلولة دون قيامي بأيّ عملٍ حتّى وان كانت مشاركة في وفد"³.

وبعد ذلك دعا بورقيبة أعضاء الحزب الدّستوري إلى عقد مؤتمر بقصر هلال في يوم 02 مارس 1934، للنّظر في الأوضاع التي آل إليها الحزب الدّستوري التّونسي⁴. وكان قد حضر المؤتمر 48 عضواً من الحزب الحر الدّستوري⁵ بقصر هلال، لينتهي المؤتمر الذي عرف بمؤتمر البعث بتأسيس الحزب الدّستوري الجديد حيث اجتمع المؤتمرون على الإحتفاظ باسم الحزب القديم مع إضافة كلمة "جديد"⁶.

وأصدر مؤتمر قصر هلال قرارات تقضي بعدم صلاحية اللّجنة التّنفيذية في إدارة شؤون الحزب الدّستوري و فصل أعضائها من الحزب لعدم كفاءتهم⁷.

و كذلك إعادة تنظيم الحزب الدّستوري على أسسٍ جديدة و انتخاب هيئة إدارية جديدة⁸، وأعلن المؤتمر أيضاً عن حل اللّجنة التّنفيذية و صادق على النّظام السّياسي الجديد

=كفاءة قانونية استغلتها السلطة العليا لإصلاح التعليم بالزيتونة كُلف بعدها بمهام شيخ الجامع الأعظم ، توفي في شهر أوت عام 1973. للمزيد؛ انظر: الصّادق الزّمرلي، مصدر سابق، ص 161.

¹ - (Ahmed) kassab,(ahmed) ounaies, op-cit, p402.

² - محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 122 .

³ - قدارة الشايب، مرجع سابق، ص 134.

⁴ - للمزيد؛ انظر: الملحق رقم 7، ص 111 .

⁵ - أنظر: الملحق رقم 8، ص 112 .

⁶ - الصّادف سعيّد ، مصدر سابق، ص 93.

⁷ - شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 415.

⁸ - رجب محمد عبد الحليم و آخرون، الموسوعة الإفريقية، لمحات من تاريخ القارة الإفريقية، ط2، دار مجدي محمود

للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص 423.

للحزب، كما عين أعضاء الديوان السياسي الجديد¹ وتم انتخاب الهيئة الجديدة و قد ضمت محمود الماطري رئيساً للحزب، الحبيب بورقيبة كاتباً عاماً، الطاهر صفر كاتباً عاماً مساعداً، محمد بورقيبة أميناً للمال و البحري قيقة مساعداً لأمين المال² ، كما انتخب المجلس الذي كان يضم في عضويته 20 عضواً³ حيث مثل 15 منهم من الجهات الداخلية الداخلية للبلاد و 5 أعضاء يمثلون العاصمة التونسية و تمثلت وظيفة هذا المجلس في مراقبة نشاط الديوان السياسي⁴.

ولكن رغم كل هذه الإجراءات المتخذة من قبل الشباب الجدد إلا أن أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب القديم لم تعترف بالانتخابات والتعيينات الجديدة واستمروا في نشاطهم باسم الحزب الحر الدستوري التونسي⁵.

وكانت جريدة "الإرادة" التي مثلت لسان الحزب الحر الدستوري آنذاك عن عبرت عن موقفها من الحزب الدستوري الجديد في يوم 12 مارس 1934. حيث وصفت نشاط المنشقين بأنه عبارة عن أعمال سيئة ودسائس أثيمة، وأنهم كانوا من الكائدين لتشتيت شمل الأمة التونسية⁶.

بيد أن الخلاف بين الجيل القديم والجديد كان مرأً متوقعاً في تلك الفترة نظراً لاختلاف وجهات النظر، غم أن الحزب الجديد لم يختلف عن الحزب القديم لا في المبادئ ولا في القيم⁷. حيث جرت معارك حزبية بين كل من الشق القديم والجديد واتهامات متبادلة بينهما، ففي الوقت الذي كان فيه الجيل القديم يتهم قادة الحزب الدستوري الجديد بالارتجال

¹ - أحمد القصاب، مرجع سابق، ص 546.

² - رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص 423. للمزيد؛ أنظر الملحق رقم 9، ص 113.

³ - يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص 423.

⁴ - يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص 252.

⁵ - خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 103.

⁶ - يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص 251.

⁷ - الهادي بكوش، مرجع سابق، ص 28.

والتبعية للغرب الاستعماري والثقافة الغربية، كان هؤلاء القادة الجدد يتّهمون قادة الحزب القديم بالجمود والسلبية وأنهم يسرون بالحزب نحو طريق الضعف والإستسلام¹. وعضواً أن تتضافر جهود الدستوريين الجدد والقدامى قصد مواجهة الاستعمار الفرنسي، قام هؤلاء بمواجهة بعضهم البعض وتسببوا في طعن وحدة الشعب التونسي ومن ثمّ انتقلت الحرب إلى صفوف أبنائه²، و الحقيقة أنّ الحزب الدستوري الجديد بزعامة الحبيب بورقيبة بعد رئاسة محمود الماطري قد جاء بخطة جديدة للمقاومة بواسطة الأهداف البعيدة، وأعاد صياغة البرامج المرحلية وغير طرق العمل المألوفة³. ولكن هذه الخطة الجديدة لم تختلف كثيراً عن برنامج الحزب القديم رغم أنّ الحزب الجديد قد اتّبع أسلوباً أكثر نشاطاً وحركةً في صفوف الجماهير⁴. إلا أنّ توغل الحزب الدستوري الجديد داخل صفوف الجماهير الشعبية البسيطة أكسبه تأييداً ومحبةً ليكون قائداً وزعيماً لحمل راية النضال الوطني.

03 : نشاط الحبيب بورقيبة من خلال الحزب الدستوري الجديد:

شرع الحبيب بورقيبة في الإتصال المباشر بالشعب سعياً إلى تحقيق غايتهم من الحزب الدستوري الجديد⁵، و عقد العزم مع رفاقه بالحزب إلى العمل، حيث بدأ في عقد اجتماعات متتالية في جميع أنحاء البلاد قصد استقطاب ما أمكن من المنخرطين⁶. وبهذا تحوّل بورقيبة إلى زعيم كبير وأصبح يعرف بالمجاهد من خلال منهجه الجديد في النضال، ويقول البشير بن سلامة في هذا الشأن: "إن أساس الحزب الدستوري الجديد هو

¹ - الطاهر عبدالله، مرجع سابق، ص 62.

² - يوسف مناصرية، مرجع سابق، ص 254.

³ - الهادي بكوش، مرجع سابق، ص 28.

⁴ - غيلان سمير طه، مرجع سابق، ص 193.

⁵ - أرتور كونت، مرجع سابق، ص 96.

⁶ - محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 122.

محرارية التجنيس ومقاومة فرنسا البلاد إذن فالحبيب بورقيبة انطلق من أساس حضاري وثقافي وعمله هو إرجاع تونس إلى هويتها الأصلية¹.

وقد أدركت السلطات الفرنسية خطر ظهور الحزب الدستوري الجديد وصرامة الجولات والاجتماعات التي كان يقوم بها بورقيبة ورفقائه في أنحاء تونس، ولذا طلب المقيم العام الفرنسي من رئيس الحزب الدكتور محمود الماطري الامتناع عن عقد هذه الاجتماعات وتحريض التونسيين على السلطات الفرنسية².

وكان أمام المقيم العام بيروطن أحد الاحتمالين إما أن يخترق صفوف الحزب الجديد، وإمّا أن يحدث جواً من الإرهاب والقمع على الحركة الوطنية. فقام بنفي الماطري، الطاهر صفر، صالح بن يوسف ومحمد بورقيبة والحبيب بورقيبة ويوسف الرويسي وكذلك مجموعة من أعضاء الحزب الدستوري القديم، الأمر الذي مكّن من إحداث الوحدة بين هؤلاء المعتقلين³ الذين تم إبعادهم إلى الجنوب التونسي يوم 3 سبتمبر 1934م. بينما تم ترك سبيل الطاهر صفر والبحري قيقة، في وقت كان المقيم العام الفرنسي يأمل منهما أن يتخذا موقفاً أكثر واقعية من الحركة الوطنية. تضامناً مع الزعماء المبعدين ودفاعاً عن المطالب التي اعتقلوا من أجلها، توالى المظاهرات في تونس العاصمة وغيرها من المدن وجرت المشادات بين الجمهور التونسي والجيش الفرنسي⁴.

ولكن رغم إبعاد بورقيبة إلى الصحراء التونسية إلا أنه استطاع رغم جميع الصعوبات التي كان يواجهها أن يبقى على اتصال برفقائه المتحررين بالحزب⁵ من خلال توجيهه للرسائل التي كان يحث فيها رفاقه على مواصلة النضال، الأمر الذي أثار مخاوف

¹- محمد الهادي الحناشي، مرجع سابق.

²- شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 416.

³- الطاهر عبدالله، مرجع سابق، ص 63.

⁴- علال الفاسي، مصدر سابق، ص 77.

⁵- أحمد القصاب، مرجع سابق، ص 551.

السّطات الفرنسية التي قامت بإبعاده ونفيه إلى " برج البوف"، وتوالت تهديداته إلى رفاقته بنفيهم إلى جزيرة مدغشقر¹.

واضطرت الحكومة الفرنسية إزاء ازدياد نشاط الحركة الوطنية إلى تغيير المقيم العام فعين "أرمان جيون" في مارس 1936م مقيماً عاماً جديداً في تونس². ثم تشكلت حكومة "بلوم" فسعت إلى تخفيف وطأة الاحتلال بالمستعمرات الفرنسية ووعدت بإصلاحات فيها³. وقد أعقبت تكوين حكومة الجبهة الشعبية الإفراج عن المعتقلين السياسيين وفي مقدمتهم الحبيب بورقيبة، الذي أظهر بعد الإفراج عنه نشاطه المضاعف في تدعيم كيان الحزب، وقام بضمّ عناصر جديدة له ثمّ أعاد إصدار صحيفة العمل باللّغة العربية وصحيفة أخرى باللّغة الفرنسية⁴. وبمجرد عودة زعماء الحزب الدّستوري الجديد من المنفى حدّد الحزب مطالب الشعب التّونسي من خلال المؤتمر المنعقد في 10 جوان 1936م، والتي جاءت كما يلي:

✓ توقيف الاستعمار الفلاحي الرسمي.

✓ التعليم الإلزامي للجميع.

✓ تكوين بلديات منتخبة.

✓ تعيين التونسيين في مختلف وظائف الحكومة.

وقد اتخذ بورقيبة فيما بعد قراراً بأن يتبع في مواجهة المستعمر الفرنسي سياسة المراحل⁵، التي انتقدها علّال الفاسي في كتاب الحركات الاستقلالية في المغرب العربي العربي لما ذكر: "أنها سياسة خدعت الكثير من الوطنيين ليس في تونس و حسب بل

¹ - الصافي سعيد، مصدر سابق، ص 101.

² - رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص 425.

³ - شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 416.

⁴ - علّال الفاسي، مصدر سابق، ص 81.

⁵ - شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 418.

وحتى في المغرب الأقصى،" ويضيف أيضا: " أن هذه الخطة التي جاء بها الحبيب بورقيبة لا يمكن أن يتحمل مسؤوليتها الحزب الدستوري الجديد"¹.

وفي 1936م سافر الحبيب بورقيبة إلى باريس للاتصال بالدوائر السياسية الفرنسية والصحفية لشرح مطالب التونسيين بوجوب مشاركتهم في حكم بلادهم²، وقد قام بورقيبة بجهود ضخمة أثناء زيارته لباريس من أجل عرض القضية التونسية، ونبه الرأي العام الفرنسي إلى الوضع الذي كانت تشهده تونس في تلك الفترة، وتمكن من الحصول على وعود من رجال السياسة والصحافة الفرنسية بالنظر في القضية التونسية³.

ولكن بعد سنة كاملة لم تتحقق الوعود، فأعلن الحزب الدستوري الجديد في مؤتمر له عرف بمؤتمر " نهج التريبونال" بالعاصمة التونسية عن سحب الثقة من الحكومة الفرنسية⁴. كما اضطر الحزب الدستوري الجديد إلى عقد المؤتمرات والاجتماعات لتوضيح مطالب التونسيين العادلة، بينما لجأت السلطات الفرنسية من جهتها إلى محاولة الإيقاع بين أقطاب الحزب مما أسفر عن نشوب خلاف بين الحبيب بورقيبة و محمود الماطري⁵. واضطّر الماطري اثر ذلك إلى تقديم استقالته من الحزب بسبب عدم موافقته على بعض قرارات الحزب الثورية التي لم يوافق عليها⁶.

وقد تزايدت محاولات التوفيق بين شطري الحزب الدستوري الجديد والقديم في سنة 1937م، إثر عودة الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وقد نجح الحزب في ضمّ فئة قليلة من العمال إلى صفوفه وطالب بتشكيل نقابات لهم⁷. تمثلت أساساً في الإتحاد العام للعمال

¹ - علال الفاسي، مصدر سابق، ص 80 81.

² - الحبيب ثامر، مصدر سابق، ص 9.

³ - شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 414.

⁴ - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

⁵ - رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص 427.

⁶ - الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 65.

⁷ - شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 420.

التّونسيين الذي اعتبر نفسه المنظّمة الوحيدة التي لها أحقية تمثيل الطبقات الشعبيّة التّونسية على الصّعيدين المحلّي والعالميّ¹.

وفي سنة 1938م عمّت التّظاهرات والاحتجاجات أنحاء البلاد وبلغت المواجهات الدّامية مع قوات المحتل ذروتها في 09 أفريل سقط على إثرها عشرات القتلى والجرحى من التّونسيين المتظاهرين والمطالبين ببرلمان تونسي².

وقد قابلت السّلطات الفرنسيّة الوضع بتوقيف متزعمي المظاهرات والقبض على زعماء الحزب الدّستوري الجديد، من بينهم الحبيب بورقيبة وزجّ بهم في السجن العسكري ثم نقلوا إلى حصن سان نيكولا بمرسيليا³. وقد بلغ عدد المعتقلين آنذاك حوالي 1000 شخص⁴، بينما نشطت حركة المقاومة الوطنيّة السّريّة بقيادة الحبيب تامر الذي تزعم الحزب الدّستوري سنوات تواجد بورقيبة بالسجن⁵.

وفي تلك الأثناء نشبت الحرب العالميّة الثّانية، وعندما احتل الألمان المنطقة الحرّة بفرنسا سعى النّازيون والفاشيّون إلى إغراء بورقيبة وراودوه للتّعاون معهم ضدّ الحلفاء في تونس⁶. كما ازداد كسب التأييد من قيادة الحزب الدّستوري الجديد والتي كانت تدرك نوايا الألمان ولم تستجب لتلك الاغراءات والمراوغات⁷.

¹ - مصطفى كريم، انضمام الاتحاد العام للعمال التونسيين إلى الفدرالية الثقافيّة العالميّة، المجلة التاريخيّة المغربيّة، ع1، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشّغل، تونس، 1994م ص75.

² - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

³ - غيلان سمير طه، مرجع سابق، ص 195.

⁴ - (Jean) la coutour,op-cit ,p129.

⁵ - الصافي سعيد، مصدر سابق، ص143.

⁶ - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

⁷ - شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص421.

وقد قام الحبيب بورقيبة من جهته بتقديم مجموعة من التوجيهات والتّحذيرات إلى رفاقه بالحزب الدّستوري سنة 1942م ينبه فيها بعدم الإنشاق وراء قوآت المحور بأي شكل من الأشكال¹.

وكانت جيوش المحور قد انتصبت بالبلاد التّونسية ما بين 9 نوفمبر 1942 و13 ماي 1943م، حيث عانى التونسيون من عبث جنود المحور بينما أعلن الحزب الدّستوري التّونسي حياده التّام بين المحاربين².

وحين أصبح محمد المنصف باياً على تونس في أوت 1942م شرع هو الآخر في إصلاحاته وحاول تبيان شخصيّة تونس المستقلّة وبذل جهوده في تحقيق ذلك، حيث كلّلت محاولاته في إطلاق سراح المعتقلين التّونسيين بالنّجاح³.

ولكن بعد الإفراج عن هؤلاء الزعماء صدر قرار من الجنرال "جيرو" يقضي بعزل الباي ونفيه بحجة تعامله مع المحور وظلّ الحزب الدّستوري يواجه المستعمرين رغم الاتهامات التي وجهت إلى بورقيبة ورفاقه بانحيازهم إلى المحور أثناء تواجدهم بإيطاليا، الأمر الذي نفاه بورقيبة نفيّاً قاطعاً بعد ذلك⁴.

وفي 27 مارس 1944م تقدّم الحبيب بورقيبة إلى المقيم العام الفرنسي ببرنامج تضمّن تكوين حكومة تونسيّة مسؤولة أمام ممثلي الشعب التّونسي مع التعاون بين الشّعبيين التّونسي والفرنسي⁵.

ولكن بورقيبة لم يعلّق آمالاً على هذه المطالب والنقّي وتّين بالمقيم العام "ماسط" وتيقّن أنّ الإستقلال أمر لا يمكن تحقيقه بطريقة وديّة مع فرنسا، وأصبح يفكّر بالقيام

¹ - (Ahmed) Kassab(Ahmed)ounais,op-cit,p415.

² - محمد الهادي شريف، مرجع سابق ، ص126.

³ - شوقي عطا الله الجمل ، مرجع سابق ، ص421.

⁴ - رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص429.

⁵ - شوقي عطا الله، مرجع سابق، ص422.

بجولات واسعة عبر العالم ليتمكن من طرح القضية التونسية خارج تونس، ولكن وقوعه تحت الإقامة الجبرية كان يشكّل له عائقاً في ذلك الوقت¹.

وفي هذا الصدد يصف الحبيب بورقيبة وضعيته بقوله: "إنّ الأحوال قد ساءت بيني وبين المقيم، والجندرمة تلاحقني حيثما أذهب إنني مقبل على مغامرة خطيرة إنني راحل اللّيلة إلى الشرق"². وأمام التهديد باعتقال بورقيبة مجدداً، غادر هذا الأخير تونس في مارس 1945م باتجاه ليبيا، ثم عبر الصحراء نحو المشرق حاملاً فكرة الخروج بالقضية الوطنية التونسية إلى المستوى العربي والدولي³.

وكان هدفه من سفره إلى القاهرة هو كسب اهتمام المسؤولين والجماهير العربية إلى القضية التونسية من جهة، ومن جهة أخرى كان يطمح إلى اتخاذ الجهة الشرقية كنقطة وثوب نحو البلدان الأوربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية⁴.

وكانت القاهرة في تلك الفترة موطئاً للمناضلين العرب من شمال إفريقيا، أين برزت الجامعة العربية والتي مثلت بالنسبة للحبيب بورقيبة كياناً لا بد من الاحتكاك به للتعريف بقضية بلاده، لكن خيبة أمله في ذلك الوقت كانت كبيرة، يقول "محمود المصمودي" في هذا الصدد بعد تعيين عبد الرحمان عزام كأمين عام للجامعة العربية، لجأ إليه الحبيب بورقيبة قصد طلب المساعدة ولكنه لم يستجب له وقال له أن جميع الإهتمامات تصبو حول القضية الفلسطينية⁵. وبعد أن وطأت أقدام الحبيب بورقيبة بمصر ساهم إلى جانب ثلّة من الوطنيين الوطنيين الجزائريين والمغاربة في تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة سنة 1946م⁶.

¹ - عز الدين معزة، مرجع سابق، ص 263.

² - عز الدين معزة، مرجع سابق، ص 163.

³ - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

⁴ - أحمد القصاب، مرجع سابق، ص 607.

⁵ - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

⁶ - رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص 430.

وفي ديسمبر 1946م سافر الحبيب بورقيبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية موفداً من لجنة تحرير المغرب العربي بهدف الإتصال بممثلي الدّول في منظمة الأمم المتحدة، وبفضل احتكاكه بالشخصيات السياسيّة المهمّة إستطاع أن يلفت انتباه الرأي العام العالمي إلى قضية تونس وقضايا دول شمال إفريقيا¹.

وفي غياب بورقيبة عن تونس تولى رفيقه الزعيم صالح بن يوسف بقيادة الحزب الدستوري في الداخل². وفي شهر رمضان 1946 عقد الحزب مؤتمراً سرياً عرف بمؤتمر ليلة القدر يوم 23 أوت وقد ضمّ جميع تفاصيل الحركة الوطنيّة التونسيّة، ولّتي رفعت ولأوّل مرّة شعار الاستقلال التام، لكنّ السّلطات الفرنسيّة داهمته وألقت القبض على 46 مشاركاً من جملة 300 من المؤتمرين وفي مقدّمهم صالح بن يوسف، صالح فرحات، والشيخ الفاضل بن

عاشور³. وقد عرف هذا المؤتمر أيضاً بمؤتمر الاستقلال حيث عقد في بيت أحد المناضلين وترأسه "القاضي العروسي بن الحداد"، وحسب الحبيب بورقيبة فإنّ المؤتمر قد شكّل نكبة بالنسبة للحزب الدستوري الجديد⁴.

وخلال تواجد الحبيب بورقيبة في المنفى تمكن من زيارة بلدان عربية عديدة كالعراق، سوريا والمملكة العربيّة السعوديّة، حيث استقبله الملك عبد العزيز آل سعود وقدم له مساعدات مالية هامة⁵. أمّا في الأردن فقد تمكن من إقناع الملك عبد الله بالعدول عن فكرة الزيارة الرّسمية إلى إسبانيا، وفي لبنان لم يجد بورقيبة آذاناً صاغية له في الوقت الذي كان أغلب السّاسة في المشرق العربي مهتمين بحدث نشوء دولة إسرائيل⁶.

¹ - أحمد القصاب، مرجع سابق، ص 607.

² - نعمة بحر فياض، دور صالح بن يوسف في قيادة الحزب الدّستوري الجديد، (1934_1945م)، مجلة آداب الفراهيدي ع15، جامعة تكريت كلية التربية قسم التاريخ، 2013م، ص 334.

³ - خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 118.

⁴ - الصافي سعيد، مصدر سابق، ص 145.

⁵ - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

⁶ - سمير عبده، مرجع سابق، ص 69.

ولقد أثار بورقيبة من خلال نشاطه الدّستوري في القاهرة مخاوف بعض أعضاء لجنة تحرير المغرب العربي، خاصة وأن بورقيبة كانت تربطه علاقة بمستشار سفارة فرنسا في القاهرة "سوبيه"¹.

وفي 8 سبتمبر 1949م عاد الحبيب بورقيبة إلى تونس بعد أن تنبأ بانتقادات وجهت له من طرف بعض أعضاء الحزب الدستوري، بل لى البعض منهم طالب بإقالته من المكتب السّياسي للحزب، فعودته إلى تونس كانت لخوض معركة لإعادة الاعتبار إلى زعامته².

¹ - شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص 425.

² - سمير عبده، مرجع سابق، ص 70.

المبحث الثاني : تونس تنقاد نحو الإستقلال:

01 : دور الحبيب بورقيبة في الثورة التونسية المسلّحة:

جنحت تونس للتفاوض مع فرنسا لتحقيق استقلالها بعد أن وعدت الحكومة الفرنسية رسمياً بالسّير نحو الهدف المنشود، لكن سرعان ما تعذّرت المفاوضات ممّا جعل الحكومة التفاوضية توجه رسالة إلى الحكومة الفرنسية تطالبها بتحديد موقفها النهائي حول منحها استقلالها الداخلي، وجاء ردّ الحكومة الفرنسية على رسالة الوزراء التفاوضية في مذكرة يوم 15 ديسمبر 1951م والتي أرسلها وزير الخارجية الفرنسي " روبرت شومان" إلى الوزير التونسي محمد شنيق، حيث أخلفت فرنسا عن وعدها واعتبره التونسيون خرقاً صريحاً لمعاهدة البارود¹. حيث أكّدت هذه المذكرة على مبدأ السّياسة المزدوجة، وإبقاء تونس تحت المراقبة الفرنسية وكان ذلك إيذاناً بانقطاع المفاوضات وسرعان ما استخلص بورقيبة ما ينبغي من نتائج فأعلن بقوله: "أنّ صفحة من تاريخ تونس قد طويت وأخرى قد بدأت وإن جواب السيّد شورمان يفتح عهداً من القمع والمقاومة بما لا بدّ أن يتّبعها من الدّموع والأحزان والأحقاد².

و لقد وجد الحزب الدّستوري الجديد نفسه أمام محنة تهدّد كيانه و مستقبل البلاد التّونسية وعلى الرّغم من ذلك، فإنه سيصمد و سيثبت وجوده. وفي ظلّ هذه الأوضاع التي آلت إليها البلاد، تمّ شنّ إضراب عام احتجاجي جمع كافة المنظّمات الوطنية، و استمر لثلاثة أيام من 21 إلى 23 ديسمبر 1951³.

¹ - عبد الكريم الفيلاي، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ط1، شركة ناس للطباعة، القاهرة، 2006، ص222.

² - محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 134.

³ - خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص125.

وهكذا بدأ التفكير الجدّي والعمل الوديّ استعداداً للمقاومة والكفاح المسلّح، وتوجه الحبيب بورقيبة إلى قصر الباي في "حمام الأنف" مطالباً برفع القضية التّونسية إلى مجلس الأمن وفي يوم 8 جانفي 1952م، خلال اجتماع الحزب في مدينة المنستير تكلم بورقيبة عن خيارات لم يفصح عنها مع أنّ البعض فهموا أنّه يقصد الثورة المسلّحة، وفي بنزرت يوم 13 جانفي انتقل إلى الهجوم فقال أنّه: "مستعد للتّنديد بحكومة "محمد شنيق" إذ لم تسارع إلى تقديم شكوى للأمم المتّحدة"¹.

وقد توجه كل من "صالح بن يوسف" وزير العدل والأمين العام للحزب الجديد و"محمد نيرة" وزير الشؤون الاجتماعية إلى القاهرة لتقديم شكوى باسم الحكومة التّونسية إلى مجلس الأمن وزجّ بالبلاد في حالة من القمع والإرهاب على اثر اعتقال حكومة شنيق².

ومن جهة أخرى قامت فرنسا بتعيين مقيم عام جديد "جان دي هوتكلوك" بحلوله في تونس على متن الباخرة الحربية في عملية استعراض كبيرة للجيش الفرنسي وتصميمه على التّصدي بالقوّة للمقاومة الوطنيّة، حيث مارس هذا الأخير مجموعة من الجرائم في حق الشعب التّونسي، وأصبحت البلاد في حالة من الغليان، وازدادت عمليّات القمع والمراقبة مشدّدة على المراكز السّكانية، ثم تلتها حملات بوليسية واعتقالات عشوائيّة، وقامت المظاهرات في كلّ من المناطق المعروفة بوطنيّتها مثل الوطن القبلي والسّاحل في نهاية شهر جانفي وبداية فيفري 1952م³.

ومن المعروف أنّ هذه الأحداث السّابقة الذّكر كانت نتيجة سياسة دي هوتكلوك الذي كان بلا قيمة ولا أخلاق و ذلك بعد أن طُدر قراراً في 16 جانفي 1952م يمنع مؤتمر الحزب الحر الدّستوري الجديد من الشّاط المقرّر ليوم 18 جانفي، وقرّر قمع كل حركة شعبيّة وإيقاف مجموعة من المناضلات جنن إلى "باجة" يوم 15 جانفي لتكوين شعبية

¹- الصّافي سعيد، مصدر سابق، ص 164 165.

²- الطّاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 100.

³- محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 135.

دستورية نسائية، ولقد أسفرت كل هذه الأحداث على عدد من الجرحى نتيجة لما قامت به قوى الشرطة، والجنדרمة الفرنسية في حق الشعب التونسي¹.

وكان يوم 18 جانفي 1952 م الذي كان سيسجّل انطلاق الثورة المسلحة، أن تم فيه إلقاء القبض على "الحبيب بورقيبة، المنجي سليم" منذ الفجر، فنتقلا إلى سجن طبرقة" (أقصى الشمال التونسي) على الرغم من ذلك أصرّ الهادي شاكر على انعقاد المؤتمر، كما أصر المؤتمرين بدورهم على الكفاح حتى الاستقلال، ولكن خلال ساعات تمكّن البوليس الفرنسي من إلقاء القبض على العشرات من إطارات تلك الحزب وتم إرسالهم إلى سجون الجنوب².

وبدأت المواجهات وتوالى الأحداث مما اضطرّ الاستعمار إلى إنشاء اليد الحمراء، وهي منظمة تتكون في معظمها من رجال بوليس، فكانت تخطّط على هامش إطار شرعي لإختطاف زعماء الوطنيين واعتقالهم وتمّ اغتيال فرحات حشاد مؤسس الإتحاد العام التونسي للشغل³ واستمرّ تأزّم الأوضاع في تونس حتى صيف 1952م، حيث طلب "دي هوثلوك" من الباي استئناف المفاوضات على شرط سحب الشكوى التونسية لدى الأمم المتحدة، بالإضافة إلى قبول وزارة بكوش على مشروع الإصلاحات إلاّ أنّه قوبل بالرفض من قبل الشعب التونسي و مجلس الأربعين، فعقد نواب المنظمات الوطنية اجتماعاً رفضوا المشروع بالإجماع إذ هو قوّر أسلوب السيادة المزدوجة ويعلن من جهة أخرى مبدأ الاستقلال الداخلي و يخالفه من جهة أخرى في الميادين الثلاثة: السّلطة التنفيذية، السّلطة التشريعية والإدارة العمومية⁴. وقد كانت هذه اللجنة متكوّنة من:

1- الحزب الدستوري التونسي الجديد.

¹- خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 147.

²- الصّافي سعيد، مصدر سابق، ص 165.

³- محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 135.

⁴- خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 153.

- 2- الحزب الحر الدستوري التونسي القديم.
- 3- الاتحاد العام التونسي للشغل.
- 4- الاتحاد العام التونسي للفلاحة .
- 5- الاتحاد العام التونسي للصناعة والتجارة.
- 6- الغرفة الاقتصادية للزراعية والتجارية.
- 7- اتحاد المحامين.
- 8- اتحاد الأطباء.
- 9- اتحاد الصيادلة.
- 10- اتحاد المهندسين.
- 11- جميع المنظمات الرياضية والثقافية¹.

ولقد ازداد تعقد الموقف نتيجة لتكوين المستوطنين الفرنسيين لجماعات مسلحة للقيام باغتيال العناصر الوطنية، ولقد كان لمقتل فرحات حشاد منحنى تاريخي ساهم في إصرار العناصر الوطنية على مواقفها وزيادة حماسهم خاصة مع ظهور ترابط وتنسيق بين رجال جيش التحرير التونسي و بين الحزب الحر الدستوري الجديد وبشكل يساعد على استمرار المعركة في جميع الميادين لها السياسية والعسكرية².

وعند سماع بورقيبة لموت فرحات حشاد الذي لعب دورا هاما في مسار الحركة التونسية واعتبره مثل أخاه وأدرك أن وضع تونس يزداد تآزما خاصة مع استمرار سياسات هوتكوك الذي دخل إلى طريق العنف والقمع بلا فرامل، و لقد كانت تونس تعيش في هذه الفترة خليطاً من الأحداث حيث كانت قيادات حزب الدستور مشتتة بين المنافي والخارج³. وقد بلغ القمع أوجهه وغصت المحتشدات في رماده، وأمام تصاعد عمليات الكفاح المسلح حوالي عام 1953م إلى قيام الحكومة الفرنسية في تغيير المقيم العام "دي هوتكوك"

¹- الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 104-105.

²- جلال يحيى، مرجع سابق، ص 1136.

³- الصادقي سعيد، مصدر سابق، ص 172-174.

وعين مكانه "بيلر فوزار"، وهذا لتهدئة الأوضاع في تونس، ويبدو أن فرنسا كانت حريصة على تحسين العلاقات بين الباي والمقيم العام الفرنسي، إذ تجنّب هذا الأخير للحديث عن سياسة جديدة وقد دعم هذا الموقف الفرنسي في خطابه أمام الباي يوم 20 سبتمبر وصرّح بأن فرنسا تعتزم في التفاهم والثقة.. ومواصلة العمل على تطوّر مؤسسات هذه البلاد تطوراً متماسك الأطراف"¹.

ولقد عمل بيار فوزار على تشكيل وزارة برئاسة "محمد صالح مزالي" وأحد وزراء حكومة محمد شنيق، وأوكل إليها إصلاحات 4 مارس 1954م، وإطلاق سراح بعض السياسيين وإلغاء المحتشدات وتمّ نقل رئيس الحزب الدستوري الجديد "الحبيب بورقيبة" من منفاه "جالطة" إلى قوروا بفرنسا².

ولقد فقدت الثورة التونسية المسلّحة عدد من القتلى والجرحى في تلك الفترة ما بين 1952-1954م و ذلك من خلال تكثيف القوّات الفرنسيّة من أعمال المراقبة والتّمشيط والقمع، ونذكر من بينها محاصرة الجبل الأحمر في ضاحية تونس ومراقبة سكّانها و عملية التفتيش الجماعي لمشيخة الجواودة"، ونوضح نتائج عمليات المقاومة من خلال هذا الجدول بين 20 مارس و 20 جويلية 1954م³.

فرنسيون	تونسيون	
حوال 20	حوالي 50	عدد الموتى حوالي 70
حوالي 30	حوالي 40	عدد الجرحى حوالي 70
	53	عدد القتلى من الثّوار
	29	عدد الموقوفين من الثّوار

¹ - خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 161 162.

² - الطّاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 109.

³ - خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 167.

ومن الملاحظ أنّ فرنسا دائماً تحاول إخفاء المعطيات الحقيقية، وهذا تحقّقاً على الرّأي العام الدّولي و محاولة رسخ صورة تبيّن أنّ هدفها من الاستعمار ليس الإستقلال وإنما التعمير، ولكنّ الواقع يثبت العكس لأنّ معظم السّكان لقوا حتفهم من خلال سياسة القمع والإبادة الجماعية دون نسيان البعض الذين تمّ نفيهم و سياسة التّجريح التي مارستها في حقّ الشعب، بالإضافة إلى الاغتيالات التي قامت بها فرنسا ضدّ المناضلين التّونسيين.

وعلى الرّغم من الإضطهاد الذي شهدته الحركة الوطنيّة التّونسية إلاّ أنّها واصلت تحقيق أهدافها و تدويل القضية التّونسية خارج قطرها، فتوجّه بورقيبة شرقاً إلى أوروبا وأمريكا للتّعريف بالقضية التّونسية وإقناع الرّأي العام العالمي شرقاً وغرباً وبعدما عاد إلى تونس، حدّد إستراتيجية لسحب تونس نحو الحكم الذاتي الداخلي فالاستقلال¹.

بالإضافة إلى الأمين العام للحزب الدستوري الجديد صالح بن يوسف الذي سعى هو كذلك لتدويل القضية التّونسية في المحافل الدّولية، وتجسّد هذا بمشاركته في بعثة وزارّة سنة 1958 لعرض القضية التّونسية أمام الأمانة العامة للأمم المتّحدة². كما لعب محمود المصمودي دوراً أساسياً في اتصالاته المتكرّرة بكل من "ادغار فور" و "منداس فرانس" و"قرانسوا ميتران" وإطلاعهم على الحالة الصّحية التي آل إليها بورقيبة في منفاه، واستطاع محمد المصمودي، استرجاع العلاقات بين فرنسا وتونس موضعاً سياسة بورقيبة التي كان تتبعها من أجل الإستقلال عن طريق التّفاهم مع الفرنسيين³.

واستطاع بورقيبة أن يضغط على فرنسا من خلال الثورة الجزائرية باستعمالها كوسيلة ضغط، وقال: "إن مصلحة فرنسا الآن هي أن تدعم سلطة حلفائها في تونس وتمكينهم من

¹ - سمير أمين، المغرب العربي الحديث تر وتوق: كميل داغر، ط2 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981، ص140.

² - الطّاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 118.

³ - نفسه، ص109، 110.

وسائل لإطفاء الحريق الذي يوشك أن يلتحق بالحريق الجزائري. " وهذا ماجعل فرنسا تفتح معه باباً آخر من أجل التفاوض¹.

02: المفاوضات التونسية الفرنسية والاستقلال:

كانت الثورة المسلحة (1952م_1954م) مرحلة حاسمة في التاريخ النضالي للحركة الوطنية التونسية، و قد جاء في لائحة المؤتمر السري للحزب الدستوري المنعقد 18-1-1958م مانه: " يؤكد المؤتمر أنه لا يمكن التعاون المثمر بين البلدين تونس وفرنسا إلا بانتهاء الاحتلال واستقلال البلاد و إبرام معاهدة صداقة وتحالف على قدم المساواة،" و جاءت سياسة العنف و ردود الأفعال التي قام بها المقيم العام بالفشل وأدت إلى ازدياد المقاومة والتضحية².

و مع استمرار عمليات الفلاقتي الرّيف والمدن أثارت الرّعب في نفوس الفرنسيين خاصة بعد هزيمتها في الهند الصينية في معركة" ديان بيان فو 1954م" وراحت تبحث عن مخرج مشرف لها خاصة بعد فقدان المقيم العام "قوزار" السيطرة على ثوار حزب الدستور والسيطرة على عصابات اليد الحمراء، مما جعل البلاد تدخل في حالة من الفوضى والعصيان وأصبحت تقريبا غير قابلة للحكم³. وفي 18 جوان 1954م اخذ " منداس فرانس" بمقاليد الحكم بفرنسا للتفاوض مع إقرار السلام في الهند الصينية⁴.

وفي التصريح الذي أدلى به رئيس المجلس الوزراء المعين للحصول على تزكية المجلس صاح قائلا: " إنني لا أقبل أيّ تردّد ولا أيّ تحفظ لتحقيق الوعود التي قدّمناها إلى شعوب علقت ثقتها فينا، فلقد وعدناها بتمكينها من إدارة شؤونها بنفسها و سنسير بوعدنا⁵.
كان "منديس فرانس" موجود في مفاوضات بجنيف، فدعى "محمد المصمودي" ممثّل

¹ - الصافي سعيد، مصدر سابق، ص 203.

² - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

³ - الصافي سعيد، مصدر سابق، ص 180.

⁴ - محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 136.

⁵ - أحمد القصاب، مرجع سابق، ص 648.

الفرنسيّ

1.

تونس يوم 19
 1955 فاوض مع الديوان السياسي ونسية
 باريس يوم 23
 بمعيد رئيس الوزراء
 " " برئيس
 الأمين ونسية
 يفتضي بجنيف و رئيس الحزب في باريس

2.

الفرنسية-التونسية يوم 15 وزير الشؤون
 ونسية المغربي و رئيس الوفد الفرنسي ببير
 عمل المتفاوضين مقد مطالب جديد
 ياد
 فاق بين الطّ " " ووضعي الفرنسيين بتونس و
 كان ذلك يوم 9 15 ريل 1955³
 حبيب بورقيبة يوم 21 ريل 1955 " "

الاتفاقية الفرنسية-التونسية 3 1955⁴

بورقيبة يوم الفاتح من جانفي 1955 ليجد
 عليه الشّد عيم و هو البطل و
 بورقيبة يتمّ شعبيّ أسطوريّ مدافعا عن وجهة نظره
 يقول: " وائني

¹ - 151-652.

² - خليفة الشّد .170.

³ - خليفة الشّاطر وآخرون، مرجع سابق .171.

⁴ - 653 .

وثيقة بيننا و بين فرنسا و

ريق الوحيد نحو الاستقلال

يشقّ 1.

محتفلين بقدمه

بينما كان يعيش الحبيب بورقيبة

من باندونغ في تصريح له :

توقيع الاتفاقية التونسية-الفرنسية

يوسف الـ

يرفض

فهو يرفض تفاق يُ 2.

يضغط

صالح بن يوسف خطاب

:" هذه فاقيات تشكّ

سير مع اليد في اليد نحو الهدف

يار الشدّ

3.

ذا لا يكون

تحرير البلاد نهائياً

صالح بن يوسف الدّعم من قيادات الحزب الدستوري ذات الاتجاه

تحرير المغرب العربي اجتماعاً بتاريخ 14 1955

القرارات التالي :

- يوان السّياسي للحزب ورئيسه الحبيب بورقيبة من عضوي .

- يوان السّياسي الذي يتّراسه الحبيب بورقيبة

الأمين العام صالح بن يوسف

الاستقلالية تحرير المغرب العربي.

- يبقى ممثل السيد صالح بن يوسف (إبراهيم)

ستوري الجديد في لجد تحرير المغرب العربي يت

1- افي سعيد، م 189-193.

2- .114

3- افي سعيد، مصدر سابق، ص 196.

في مصير الديوان السياسي الحالي و تعيين المسؤولين سياسة
بعيد عن يوان السياسي الحالي¹.
صالح بن يوسف تفاقية اخلي نتائج سلبية
الوطنية ونسية قيام معارك عنيفة فيها بين " قبيبيين
وشق اليوسفيين"².

صل الحبيب

بورقيدي حيث اجتمع المجلس ستوري الجديد في 21
1956 الختام: " السياسية
ونسية يسير في تونس نحو الاستقلال التّ".
اختصار مراحل تحويل المسؤوليات وتوفير الوسائل رورية نظاميّ
ادّ تعديلات على الحكم الذّ³. بورقيبة
الضغط على فرنسا لتحسين الحكم الذّ باريس يوم من فيفري
1956 " " المغربية والتونسية " "
" " في استقبال رئيس ونسية " "
" " ظر فيم إليه
الجزائرية يجايد على سير المفاوضات
التونسية-الفرنسية وأجريت سريعة يوم 1956/3/2
لغيت⁴ جديدة
من تاريخها السيادة الوطنيّ بورقيبة

5

2001 19.

¹ - توفيق المدني، المعارضة التونسية نشأتها وتطورها

² - محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 137.

³ - خليفة الشّد 174.

⁴ - للمزيد : 10 114.

⁵ - بن معزة، مرجع سابق، ص 344-345.

03: الأزمة اليوسفية البورقيبية .

" الفرنسية-التونسية رئيس " من منح تونس استقلالها الداخلي بعد توقيع تفاقيد اتى يوم 3 1955 سياسيد وتاريخيد الوطنيّ ونسية تي كان يقوم بها الحبيب بورقيبية حيث الإيديولوجية ياسية خصية بين الحبيب بورقيبية "صالح بن يوسف" الأمين¹.

الإيديولوجي إذ كان الحبيب بورقيبية ذو ميول غربيّ علمانيّ صالح بن يوسف الذي كان م العربيّ الإسلاميّ² وتعود البدايات 23 1946 " ليل " فيه مناضلين من الحزبيين القديم والجديد لكن الفرنسية " أيّ سعدي " " من باريس عن الموقوفين³. القيادة تفاوضياً من قبل المقيم العام الجديد " بن يوسف العر من الحزب القديم و 16 19 1948 على شرعية المؤتمر لغياب رئيس الحزب الحبيب بورقيبية وانتهى هذا المؤتمر بموافقة بن يوسف على بورقيبية بتأجيله

¹ - توفيق المدني، مرجع 14

² -

³ - 603.

جانبه وهذا لم يعجب بورقيبة
وتر بينهما
يرى
صالح بن يوسف للتّ
يترك
1

تي ساهمت في تعميق البعد القومي
تجسيد مشاريع ياسية الاستقلاليّ و تطبيقها على
المغاريّ
التونسيّ
تونس من حيّ
أسياوا إفريقيا
إليه
"2"

استطاع بن يوسف تدويل القضيّ
ونسية من خلال حضوره
18 أبريل 1955 توقيع فاقية من هنالك تصريح:
العربي في تونس يرفض

يرفض
يقر
3
في تونس واصل صالح بن يوسف وأنصاره
رافضين
فاقي
بينه وبين الحبيب بورقيبة
ستوري الجديد في صفاقس بتاريخ

15- 18 1955 إليه صالح بن يوسف و أنصاره
قدمات المقاومين
بيد اتّفاقيّ
تطويرها في اجاه
4

1- افي سعيد، مصدر سابق، ص 148-149.

2- خليفة الشّ 173.

3- 114.

4- الدّين 348.

لم يترك صالح بن يوسف مجا عنيف تحريضي ألقاه

يتوزد بورقيد فكير في فصا ستوري الجديد

فيها: " ذين كانوا معنا مذ

في نظري إستراتيجي ،

ير ان صالح بن يوسف يجيء من الشرق

مالها في يدنا يحاول تشتيت تصديع

صالح بن يوسف كي بيدي

، يقدم وبراھيد¹ .

الأخير صالح بن يوسف رأيه

ضايا الأساسيد أنكر فيه

² . ونسية دني

صالح بن يوسف يرغب

في القضاء على هيئ بورقيبة³ .

وكانت هذه العصابات المسد قياد "

الوصيف" عاون مع وحدات جيش التحرير الوطني الجزائري

قيبيين⁴ .

تعديل بورقيد

فاقيد 03 1955

ستوري الجديد في 21 1956 الختامية:"

-1

-2

-3 656 .

-4 بين معزة، مرجع سابق، ص 348.

السياسية	التونسية	يسير
1		
أن تهىء	الحبيب بورقيبة	باريس و شك
	يوم من شهر فبراير 1956	" "
بالشؤون المغاريد التونسية	ونسية	يد "
	إليه	غير بورقيبة
وسيلة ضغط و	استقباله يوم 5	1956 ² وبعد إجراء مفاوضات سريعة
أفضت يوم 20	1956	للحماية
الفرنسية على البلاد التونسي ³ .		
وفي هذه الظ	داخلية في الحركة الوطني ونسية	
تي كان يمكن لها أن تهد		
وعليه ومن خلال استعراضنا للنضال الوطني للحبيب بورقيبة توصلنا		
الحبيب بورقيبة بالذ	ياسي الت	إليه تونس
نتصاب الحماية الفرنسي	كود التي آلت إليها	
الحركة الوطنية التونسية بنفي الشيخ عبد العزيز الت	حيث ظهر الحبيب بورقيبة كزعيم	
ونسي بمعية رفقاءه اللذين شكّلوا نخبة سياسيد	ياسة الفرنسي	
على أساس منهج الحبيب بورقيبة في المقاومة .		
من خلال نشاط الحبيب بورقيبة داخل الحزب الدستوري التونسي الجديد		
يق سيادتها الوطنية على أساس مفاوضات بورقيبة مع فرنسا رغم المعارضة ال		
إليها صالح بن يوسف.		

1 - خليفة الشد 174.

2 - افي سعيد، مصدر سابق، ص203.

3 - 657.

الفصل الثالث :

النضال القومي للحبيب بورقيبة

المبحث الأول : بورقيبة وقضايا المغرب العربي.

المبحث الثاني: بورقيبة وقضايا المشرق العربي.

تمهيد :

سنحاول في هذا الفصل دراسة وتحليل مواقف الحبيب بورقيبة من قضايا المغرب والمشرق العربيين، وسنوضح أيضا موقفه من قضية الوحدة للمغاربية التي كانت تشغل بال الكثير من المنادين بها. وكان تجسيدها على الواقع كالحبر على الورق وهذا راجع لأسباب متعددة، إلى جانب موقفه من الثورة الجزائرية ومساندته لها من خلال إمدادها بالأسلحة والوقوف في وجه المستعمر الفرنسي لأنه استعمار مشترك بين الجزائر وتونس.

وكذلك موقف الحبيب بورقيبة من القضية الفلسطينية التي مازالت مشكلة العصر وفي نظره أن سياسة المرحلة هي الحل الأمثل للتعامل مع العدو الإسرائيلي، إلى جانب موقفه من قضية الوحدة القومية العربية.

المبحث الأول : بورقيبة وقضايا المغرب العربي.

02 : قضية الوحدة المغاربية.

لقد شهد المغرب الكبير هجمات الاستعمار وزاد وضوحا في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فاحتلت الجزائر من قبل فرنسا عام 1830م وفرضت حمايتها على تونس 1881م، واستمر بعد ذلك الاحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب. وفرض الحماية المزدوجة الفرنسية والإسبانية على المغرب الأقصى¹.

وفي ظلّ الواقع المرير الذي عايشه المغرب العربي من سياسة التّعسف وفقدانه لأبسط حقوقه، زادت حدة مقاومة السّكان لهذا الاستعمار الجائر. في حين كانت تعمل فرنسا على جعل الجزائر مقاطعةً فرنسيّةً وعزلها عن العالم العربي الإسلامي وعن شقيقتها تونس والمغرب الأقصى وهذا نتيجة تخوُّف فرنسا من مواجهة مسلّحةٍ مشتركة².

وإن كانت فرنسا قد نجحت في منع اللّغة العربية من التّداول ومحاولتها لطمس الهوية العربيّة وخلق طبقة مثقّفة مفرنسة، إلّا أنّها لم تتجح في القضاء على عمق الانتماء الوطني والقوميّ لأبناء المغرب العربي وكان ردّ الفعل على فرنسا من خلال أسلوبين من الكفاح المسلح والسياسي وامتد من الاحتلال حتّى الاستقلال وكان ردّ الجزائريين في شكل انتفاضات وثورات مسلّحة، شملت أنحاء الجزائر وسرعان ما تطوّرت هذه الثورات من حالات منفردة إلى حالة من الوحدة ضدّ الاستعمار وذلك ما تفضّن إليه الأمير عبد القادر من محاولات لفرنسا في القضاء على القومية العربيّة، حيث حملت ثورته في طيّاتها مبادئ ونظم المقاومة³.

¹ - محمد علي داهش، اتجاهات العمل الوحدوي في المغرب العربي المعاصر، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، 2003، ص7.

² - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا (1910-1954)، ط1، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص32.

³ - صالح أحمد العلي-نوري حمّودي القيسي وآخرون، تطوّر الفكر القومي العربي، ط1، بيروت، 1986م، ص272.

حيث وُلدت فكرة المغرب العربي منذ العصور السابقة، شهدها المغرب العربي منذ منتصف القرن الحادي عشر وكانت تلك التجارب الوجودية بمثابة محاولات لتجسيد الوحدة السياسية والقومية والدينية والحضارية. كما كان المغرب الأقصى مركز الثقل في العمل الوجودي المغربي العربي والإسلامي من خلال تأسيس دولة المرابطين، الموحدين و المرينيين فجاءت رداً على واقع التجزئة والانقسام وتساعد وتنافس القوى الأوروبية، بالإضافة إلى فرض الدولة العثمانية سيادتها على أقطار المغرب العربي تونس، الجزائر و المغرب الأقصى¹.

ومع مطلع القرن العشرين بدأت تتضح وحدة المغرب العربي بإطارها العربي الإسلامي، بوجود أبرز مركز ثقافي "الزيتونة" حيث ساهمت مساهمة فعالة في نمو الوعي العربي والدفاع عن الأمة العربية وتراثها الحضاري والثقافي العربي الإسلامي من خلال ما أثمرته هذه الأخيرة من نخبة مثقفة أمثال "عبد العزيز الثعالبي وخير الدين التونسي" إذ بدأ عمله الإصلاحية بعد التدهور والانحطاط التي آلت إليه البلاد التونسية².

ولقد ساهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي من خلال تأسيسه للحزب الحر الدستوري التونسي بأهدافه القائمة على المطالبة ببعض الإصلاحات السياسية والاجتماعية، إضافة إلى أهداف بعيدة متمثلة في الاستقلال الكامل لتونس بإيديولوجية عربية إسلامية، وفتح الأبواب المغاربية للدخول في الحزب الدستوري لنصرة قضيتهم والقضاء على الاستعمار الفرنسي.³

وقد وضع عبد العزيز الثعالبي كل جهوده مع الحزب الإصلاحية الجزائري الذي كان يقوده الأمير خالد في مطلع عشرينات القرن الماضي، وكان يعمل على إتباع خطة واحدة منسقة في النضال والعمل من أجل تحرير هذين البلدين العربيين وعلى الرغم من انشغال الحزب الدستوري القديم والجديد بالقضية التونسية إلا أنّ ذلك لم يمنعه من التضامن مع

¹ - محمد علي داهش، مرجع سابق، ص 8-9.

² صالح أحمد العلي، نوري حمدي القيسي وآخرون، مرجع سابق، ص 276.

³ محمد بلقاسم، مرجع سابق، ص 216.

الجزائر من خلال تنظيم إضراب ضد سياسة التّعسف الاستعماريّة في حقّ قيادة القوى الوطنيّة كما وجه عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين رسالة تهنئة وإكبار للموقف التونسيّ ويتّضح أنّ فكرة المغرب العربي في مرحلة ما بين الحربين محصورة على العموم ولم تصل إلى جهد منظمّ وموحد ضمن إطار جبهة مغاربيّة¹.

كما أنّ نتائج التّحوّلات التي أسفرت عن الحرب العالميّة الثانيّة في المغرب العربي وبرز مطلب الاستقلال، خاصة مع بروز الجامعة العربيّة عام 1945م والتي اعتُبرت بمثابة إجاز لتوحيد جهود الوطن العربي لحلّ القضية المغاربيّة، بالإضافة إلى ظهور مفهوم القوميّة والوحدة العربيّة، كما مثّلت القاهرة نقطة التقاء أمام قادة الأحزاب والحركات السياسيّة وهذا دليل على قوّة الترابط بين المشرق والمغرب الاختلاف بين روافد ثقافتهم وبين المتأثرّ بما في المغرب وما في المشرق من ثقافة عربيّة أمثال عبد العزيز الثعالبي والمتأثرّ بالأفكار الأوربيّة أمثال الحبيب بورقيبة إلا أنّهم عملوا على بعث فكرة العمل الوحدوي المغاربي².

عقد ممثلو الحركات الوطنيّة في الفترة الممتدة ما بين 10-22 فبراير 1947م عرف باسم مؤتمر المغرب العربي وحضره العديد من زعماء المشرق العربي وتحت الرّئاسة الفخرية للأمين العام لجامعة الدّول العربيّة عبد الرّحمان عزّام، وخرج المؤتمر بقرارات منها إعادة تأسيس مكتب المغرب العربي، بالإضافة إلى تأكيد المؤتمر هدف الاستقلال التّام والجلء الكامل، كما أنّ القرارات لم تقف عند الحدود المغاربيّة فقط بل دعت إلى توحيدها وتوجيهها قومياً من أجل ضمان موقفها في مواجهة الإستعمار³.

¹ محمد علي داهش، مرجع سابق، ص 18، 20.

² صالح أحمد العلي.نوري حمدي القيسي وآخرون، مرجع سابق، ص 279_280.

³ - محمد علي داهش، مرجع سابق، ص 39_40.

ولقد كان لمكتب المغرب العربي دوراً بارزاً في حركة العمل الوطني المغربي المشترك من خلال التعريف بالقضية المغاربية، وحضي بمكانة خاصة من حيث فعاليته النضالية وكنقطة متقدمة في مجال التنسيق السياسي¹.

ولاشكّ أن تأسيس مكتب المغرب العربي كان من أهم قرارات مؤتمر المغرب العربي خاصة ولأنّ هذا الأخير قام بتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي في 05 جانفي 1948م برئاسة عبد الكريم الخطّابي وشاركت في تأسيس هذه اللجنة عدّة أحزاب مغاربيّونصّ ميثاقها على تأكيد إسلامية بلاد المغرب وعروبوته وتعاونه مع الجامعة العربية وكان هدفها، تحقيق الاستقلال التام للأقطار الثلاثة.

وقد أمضى ميثاق اللجنة الأمير عبد الكريم الخطّابي وممثّلو الأحزاب الوطنية ومن بينها، الحزب الحر الدستوري الجديد، "الحبيب بورقيبة والحبيب ثامر"².

وعلى الرّغم ممّا قام به مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي من جهود، لتوحيد طريق العمل الوحدوي ولتحرير المغرب العربي ورسم مستقبله، إلاّ أنّه شهد مرحلة الفتور مع أواخر الأربعينيّات وبداية الخمسينيّات وهذا ما أضعف من حماس قيادته وأعضائه بسبب التطّورات الداخليّة لكلّ قطر وطبيعة المسار الذي بدأ يرسم أمامها³.

بالإضافة إلى تلك الخلافات التي كانت داخل مكتب المغرب العربي والمشاكل التي اعترضت نشاط المغاربة بمكتب القاهرة وفروعه، تمثّلت أساسا في المشكلة الماليّة ونتيجةً لذلك عرض مدير مكتب دمشق خلال سنة 1947م على مكتب القاهرة طلب مساعدات في

¹ - امحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، بيروت 1994، ص450.

² - محمد بلقاسم، مرجع سابق ص 548، 547.

³ - نفسه، ص475.

المشرق العربي لكن لم يلق استجابة وهذا ماجعله يُظهر للشعب مدى تقصير حكومته والجامعة العربية في مساعدة قضية المغرب العربي¹.

كما أن استمرار الخطابي في تأكيد الطابع الوحدوي في الكفاح المغاربي من أجل الإستقلال التام جاء أثناء معسكرات التدريب لأبناء المغرب العربي المتواجدين في المشرق العربي و التحوّل من العمل السياسي إلى الكفاح المسلح.

ظهر الخلاف بين الجانبين بوصول عبد الكريم الخطابي للزعامة وهذا ماجعل بعض الزعماء القوميين المرتبطين بحزبه ومعسكره الشخصي² ، يزدادون في رفضهم له. وظهر ذلك بشكل واضح من خلال التنافر الذي حدث بين الحزب الدستوري الجديد وبقية الحركات السياسية المغاربية، والإختلافات الإيديولوجية بين زعماء الأحزاب. إذ كان بورقيبة ذو نزعة غربية ساهمت المدرسة الفرنسية في تكوينه ومنحه لثقافة الفرنسية بكل ما تحمله من علوم وفلسفة تنويرية وأفكار ليبرالية ديمقراطية. وكان الحبيب بورقيبة يؤمن بإخراج فرنسا وإتباعه للعمل السياسي دون المسلح من خلال سياسته "خذ وطالب" ودخول الحزب الدستوري الجديد في أزمة سياسية حادة أدت إلى ظهور حركة معارضة تزعمها صالح بن يوسف³ فلم يعلن موقفه من الوحدة العربية بشكل صريح فكان فيه نوع من الشك والغموض في العديد من مواقفه، وأتضح جلياً بعد الاستقلال في تحديد قاداته لمفهوم الوحدة العربية وموقفهم منها⁴

ولقد أدركت فرنسا خطورة العمل المشترك بين دول المغرب العربي لذا منحت فرنسا فرصة التفاوض مع المغرب الأقصى ثم منحه الاستقلال في إطار التكافل مع فرنسا

¹ - محمد بلقاسم، مرجع سابق، ص 471 472.

² - محمود علي داهش، مرجع سابق، ص 43.

³ - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

⁴ - صالح أحمد العلي، نوري حمودي القيسي وآخرون، مرجع سابق، ص 285.

وكان الحال شبيهاً في تونس ، حين قبل بورقيبة التفاوض والحصول على الإستقلال الداخلي ثم الإستقلال التام¹.

02 : قضية الثورة الجزائرية 1954 م:

إن اعتماد أسلوب المواجهة والعمل المسلح عبر مراحل الكفاح الوطني منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر في 05 جويلية 1830 م، لم يكن اختياراً بل كان وسيلةً حتميةً ناتجة عن لرفض الاستعماري القاطع والمستمر لاسترجاع استقلال الجزائر، وهذا ما تضمنه ميثاق الثورة الجزائرية (بيان أول نوفمبر 1954م) منذ الليلة الأولى لإندلاع ثورة التحرير².

وقد أثار اندلاع الثورة الجزائرية الرعب في نفوس المستوطنين الذين اعتمدوا على الجيش الفرنسي لضمان أمنهم بالجزائر، بينما اعتمد قادة الثورة لإستراتيجية تقوم على أساس وضع جهاز سياسي لجهة وجيش التحرير الوطنيين قصد شرح أهداف الثورة³.

وقد جاءت لتعبر عن الشعور الداخلي ليس للحكومات العربية وحسب وإنما لكافة الشعوب العربية التي تعيش لهيمنة والتسلط الاستعماري و تتلقى الإهانات الواحدة تلو الأخرى⁴.

¹ محمد بلقاسم، مرجع سابق، ص 410.

² إسماعيل دبش، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية (1954-1962)، دار هومة للنشر، الجزائر 1990م، ص 16.

³ عمّار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997م ص 380.

⁴ مريم الصغير، موقف الدول العربية من القضية الجزائرية (1954-1962)، دار الحكمة للنشر، الجزائر 2010، ص 88.

وإثر تفجير الثورة ذاع صيتها في كامل أقطار الوطن العربي، فتعددت المواقف وانتعشت معنويات الجماهير العربية بقيام هذه الثورة خاصة بعد الحملة الدعائية التي قامت بها إذاعة صوت العرب للتعريف بها وتبيان ظروف قيامها¹.

فإذا نظرنا إلى تاريخ الثورة الجزائرية منذ لداعها نجد أن تونس والمغرب الأقصى كانتا في طليعة الدول التي أظهرت موقفها الايجابي تجاه الثورة. وتلك هي الثورة الجزائرية التي أعلنها شباب خرجوا من رحم "مدرسة الوطنية الجزائرية" التي آمنت بالاستقلال، ولذلك فالفضل يعود إليها و لقاقتها².

وقد تمكنت هذه الثورة أيضا أن تصنع من الشعب الجزائري شعباً ثورياً رغم قلة وسائله المادية والمعنوية، وقضت على كل تفكير مضاد لفكرة الاستقلال ومحت أفكار التجنيس من الذاكرة، كما جذت العالم كله إلى صفها³.

ولقد حظيت القضية الجزائرية بمكانة هامة لدى التونسيين من حيث الإهتمام السياسي وحجم التضامن الشعبي، وذلك بحكم الجوار وتوطد العلاقات السياسية والاجتماعية بين القطرين الجزائري والتونسي⁴. ويقول علي المحجوبي في هذا الصدد "فتحت تونس المجال لتمركز القيادة السياسية الجزائرية بالأراضي التونسية، كما وفرت الإذاعة التونسية لتكون مواضيعها قضية الثورة الجزائرية وخولت مرور الأسلحة المصرية والصينية نحو الجزائر عبر الأراضي التونسية"⁵.

¹ - فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، ط2، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1990م، ص56.

² - عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص308.

³ - نفسه، ص 309.

⁴ - عبد الله مقلاتي، دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة التحريرية (1954-1962)، ج1، دار بوسعادة للنشر، الجزائر ص70.

⁵ - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق، للمزيد؛ أنظر الملحق رقم 11 ، ص 115 .

وعند الحديث عن موقف تونس من القضية الجزائرية فإننا نتطرق الى إدراج وجهة نظر الحبيب بورقيبة ومواقفه تجاه الثورة والتي ارتبطت أساسا بسياسته الداخلية والخارجية. ولا يمكن أن يختلف إثنان أن الحبيب بورقيبة بحكم علاقته الوطيدة مع شخصيات وطنية جزائرية في المشرق وأوربا أنه تعلم الكثير من النضال الوطني الجزائري وهذا ما جعله يؤيد هذا النضال وأفكاره الوطنية منذ أن أصبح زعيماً للحركة الوطنية التونسية.

وتضامناً مع قضية الشعب الجزائري القى الحبيب بورقيبة خطاباً بالجمعية العامة للأمم المتحدة تعرّض فيه الى القضية الجزائرية، فتجاوبت اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري مع خطابه وأيدت أفكاره واقتراحاته¹.

فبعد نجاح بورقيبة، وبعد أن قبلت فرنسا سياسية المرحل التي جاء بها أراد هذا الأخير أن يفتح المجال أمام الجزائريين لخوض غمار الحرب ضدّ فرنسا والمضيّ قُدماً من أجل رفع صوت القضية الجزائرية².

وأمام اشتداد الحوادث الأليمة في حرب الجزائر، عقد الديوان السياسي للحزب الدستوري التونسي الجديد بقيادة الحبيب بورقيبة، إجتماعاً استعرضت فيه أوضاع الجزائر وأصدر بياناً أكد فيه عن رفضه للسياسة الفرنسية في الجزائر³. يقول الحبيب بورقيبة في هذا الصدد "إنّ تونس تتألم من الحرب الفاشية المسلطة على الشعب الجزائري الشقيق وضُرّح بأنّها سوف تبذل كلّ ما في وسعها لتساعد على إيجاد الحلول السلمية التي تضمّنت للشعب الجزائري حقوقه الوطنية حتى يسود الاطمئنان كل أقطار شمال إفريقيا"⁴.

¹ حبيب حسن اللّولب، التونسيون والثورة الجزائرية، ج1، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص38.

² مريم الصغير، مرجع سابق، ص51.

³ حبيب حسن اللّولب، مرجع سابق، ص 46.

⁴ عبد الله مقلاتي، دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة التحريرية 1945-1962، مرجع سابق، ص 76.

كما أنه كان يرى أنّ الظُّروف ظلّيّ تمرّ بها الجزائر تحتاج إلى دعم أكبر، حيث بادرت من خلال وفدها لدى هيئة الأمم المتّحدة بتقديم تقرير مفصل حول أوضاع الشَّعب الجزائري وما يعانیه من جرّاء السّياسة الفرنسيّة التّعسفيّة حيث عبّر عنها بالموت الذي يتعرض له الشَّعب الجزائري، فوجه انتقاده للرأي العام العالمي الذي نادى بسياسة الإتحاد السوفيياتي في المجر ونسي ما تقوم به فرنسا في الجزائر من جرائم، كما طالب باستقلال الجزائر والإعتراف به¹.

ولقد تميّز موقف الحبيب بورقيبة تجاه حرب التحرير الوطنيّة الجزائريّة خلال السنتين الأولى لتين بعد استقلال تونس بالليونة مع فرنسا ويعود ذلك في الأساس إلى تجربة حركة الإستقلال التّونسيّة بقيادة الزعيم الحبيب بورقيبة والتي عرفت بالتفاوض بدرجة أولى².

كما كانت نظرته إلى قضية الشَّعب الجزائري تتمّ عن تجاهلٍ لحقيقة الثّورة إذ لم يكن بورقيبة يسلّم بأنّ الجزائريين أدريّ بخلافاتهم وأعرف بحلّ قضيتهم، بالرغم من اعترافه أنّ المشكل التّونسي يختلف عن المشكل الجزائري وتسليمه باختلاف الوضع بينهما فإنه كان يظنّ أنّ فرنسا مثلما تنازلت عن تونس والمغرب ستلجأ إلى التفاوض مع الجزائريين الذين عليهم القبول بذلك وعدم الاعتماد على الحلّ العسكري³.

وقد أثارَت سياسة الحبيب بورقيبة القائمة على أساس التفاوض مع فرنسا جدلاً كبيراً داخل الوسط المغاربي، الذي كان يعتمد على وحدة الكفاح المسلّح لنيل الاستقلال⁴.

¹ - مريم الصغير، مرجع سابق، ص 135.

² - إسماعيل دبش، مرجع سابق، ص 109.

³ - عبد الله مقلاتي، مرجع سابق، ص 75.

⁴ - عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)، (إشراف: د. عبد الكريم بوصصاف)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص 193.

وفضلاً عن الخلاف الذي كان قائماً داخل الجزائر وخارجها كانت أسئلة كثيرة تُطرح بشأن مدى صدق وإخلاص بورقيبة. حيث قام عبان رمضان¹ بإرسال مبعوث إلى تونس لاستطلاع الوضع ميدانياً واختبار موقف الحبيب بورقيبة ، ويتحدث محمد لجاوي عن مهمته الناجحة بالقول " إتصلت ببورقيبة الذي استقبلني بحرارة ومن أجل الحصول منه على تأييد علني للثورة الجزائرية وقدمت له في عشرين نقطة تقريبا عدد من الطلبات الواضحة فاستجاب لجميعها دون استثناء وبتلقائية وصدق مؤثرين"².

وفي حديث آخر يقول أحمد السعيد من إذاعة صوت العرب في زمن عبد الناصر أنه " لما اشتدت الحملة المصرية على الحبيب بورقيبة فإنه حول مضايقة المصريين بأنهم مكلفين بتبني القضية الجزائرية ويساعدونها في كافة المجالات فحاول الضغط على الجزائريين ومنع قوافل السلاح والمتدربين من المرور عبر تونس نحو الجزائر"³.

فمن خلال هذا السياق يمكننا القول أن الحبيب بورقيبة كان مسانداً للقضية الجزائرية في حالة ما إذا اختار الجزائريون الأسلوب السياسي، إما إذا انتهجوا سياسة عسكرية فهو مخالف لذلك ليس لأنه يؤيد فرنسا وإنما لتحقيق هدف الاستقلال حسب ما انتهجه هو في سياسته ضدها.

وكان رد فعل الحبيب بورقيبة إثر اختطاف طائرة زعماء جبهة التحرير الوطني من طرف القوات الجوية لإدارة الاحتلال الفرنسي أن عبر عن عملية الاختطاف بأنها لا تخدم السلم بل تزيد من حدة الأزمة الجزائرية الفرنسية⁴.

¹ - (1920-1957) مناضل ثوري مثقف إلتحق بالثورة الجزائرية سنة 1955م أصبح زعيماً لقادة الداخل، بدأ نفوذه بالتراجع أمام العسكريين بعد انتقال القيادة إلى الخارج، استشهد في ظروف غامضة. للمزيد؛ أنظر : عبد الله مقلاتي، مرجع سابق، ص 159.

² - عبد الله مقلاتي، نفسه ، ص 195.

³ - محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

⁴ - مريم الصغير، مرجع سابق، ص 135.

وهكذا فإن تونس و على الرغم من التقلبات السياسية لنظام بورقيبة الحريص على إرضاء فرنسا لم تبخل عن الثورة الجزائرية بحيث كانت القاعدة الخلفية للثورة الجزائرية¹. وإن ما يلفت النظر أكثر في الدور التونسي المؤيد للثورة أن سياسة بورقيبة التي اعتمدت على الدعم السياسي للجزائر من خلال مؤتمرات الإقليمية لم تكن كافية بالنسبة لدعاة توحيد الجهد والتكامل في النضال بين أقطار المغرب العربي ككل². ولكن سرعان ما بدأ الخلاف ينتشر بين جبهة التحرير الوطني والحكومة التونسية بقيادة بورقيبة هذه الخلافات ساهمت فيها مجموعة من العوامل والأكيد أن فرنسا قامت بتنفيذها من أجل نشر الخلاف وتوسيع نطاقه بين الحبيب بورقيبة وجبهة التحرير الوطني .

المبحث الثاني: بورقيبة وقضايا المشرق العربي.

01: قضية الوحدة القومية العربية.

يلعب الفكر القومي دوراً كبيراً في حياة الشعوب فهو يعبر عن واقع العصر ويكشف عن مشكلات الناس وصداعاتهم مع قوى داخلية عملية وقوى دخيلة خارجية³. كان ظهور الحركة القومية العربية نتاجاً لحالة الاضمحلال التي آلت اليها الأمة العربية، خاصة في ظل الصراعات والصدّامات بين العثمانيين الذين سيطروا على المشرق العربي ومعظم أجزاء المغرب العربي وبين الدول الأوروبية التي اتخذت كل الأسباب للاستيلاء على كل أقطار الوطن العربي⁴.

¹ - الطاهر جبلي، شبهات الدعم اللوجستيكي للثورة التحريرية، أطروحة دكتراه في التاريخ المعاصر (إشراف: د.مناصرة

يوسف)، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008، ص 268 .

² - نفسه، ص 269.

³ - صالح أحمد العلي، نوري حمودي القيسي وآخرون، مرجع سابق، ص 303.

⁴ - محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية، دار النهضة، مصر، 1998، ص 221.

وتحقّق ذلك من خلال الاتفاقيات والوعود السرية التي عقدها بريطانيا مع قوى أخرى، وأهمها اتفاقية " سايكس بيكو " مع فرنسا ووعده بلفور الذي حطم آمال العرب¹.

وتصاعدت القومية العربية خاصة في حقبة الرئيس المصري جمال عبد الناصر²، وكانت هذه المرحلة مفصلية وانتقالية وذات أهمية بالغة في تاريخ الأمة العربية، حيث أصبح هذا الأخير المتحدث غير المنازع، باسم هذه الحركة الجماهيرية التي لقيت ولاءً من قبل جميع الشعوب في أرجاء العالم، رافضة للاستعمار الأوربي ونادت بالوحدة العربية رداً على التجزئة والانقسام والحدود المصطنعة التي رسمها الإستعمار الأوربي³.

وكان الدور الأهم في المشرق العربي خصوصاً، حين كانت القاهرة مركز الإشعاع ومقر الزعماء للحركات الوطنية ومناضليها، أمثال عبد الكريم الخطابي والحبيب بورقيبة⁴. ولقد كانت جامعة الدول العربية كشكل من أشكال الإتحاد العربي قد ولدت في مصر وتقررت بين أقطار الأمة العربية على مصر، كما وقفت مصر باستمرار إلى جانب الشعوب العربية في كفاحها لنيل استقلالها حتى لما كانت مصر تناضل من أجل إجلاء الاحتلال البريطاني من أراضيها⁵.

كما ساهمت جامعة الدول العربية كذلك في العمل على توحيد تنظيماتها ووضع أهدافها لتحرير الوطن العربي من الإستعمار، وخاصة بعد تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة الذي كان أول نواة للوحدة السياسية المغربية وكان هدفه تحقيق الاستقلال رغم اختلاف التكوين الاجتماعي والثقافي لأعضائه الذين اكتفوا بالعروبة والإسلام، ومما أعطى للمكتب المغربي العربي وزناً خاصاً هو وجود أبرز زعماء المغرب العربي بالقاهرة وارتباطهم

¹ - نفسه، ص 303-304.

² - ولد بالإسكندرية 15 جانفي 1918 وكان الابن الأول لواده تلقى تعليمه في المدرسة الأمريكية التبشيرية (مدرسة وبصا) الخيرية الثانوية، كما كتب مقالات بمجلة المدرسة ونمى نشاطه السياسي خلال فترة داسته. للمزيد؛ انظر: سعيد أبو الرّيش، جمال عبد الناصر آخر العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 21 27 .

³ - نجيب صالح، تاريخ العرب السياسي (1856-1956م)، ط1، دار إقراء، بيروت، 1985، ص 414

⁴ - محمد علي داهش، مرجع سابق، ص 39.

⁵ - رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص 240.

به أمثال "محمد بن عبد الكريم الخطابي، الحبيب بورقيبة والحبيب ثامر"¹ ، الذين اعتبروا الجامعة العربية إنجازاً لتوحيد جهود الوطن العربي وتعاونهم لحل القضية المغربية، والحصول على الاستقلال² .

وعند تسلّم جمال عبد الناصر السُلطة في مصر كان يهدف إلى إخراج القوات البريطانية من بلده لاكتمال تحقيق هدف الوحدة العربية، ولقد كانت ثورة جوان 1952م والتي استهدفت التّغيير في الإقليم ،واستطاعت أن تطيح بنظام "فاروق الملكي" المؤيد للاستعمار الغربي والتي غيرت وجه المجتمع العبي والتي أدخلت فيه أساليب التفكير وبناء المجتمع وعلاقات مصر بالعرب وعلاقات العرب ببعضهم البعض³ .

وكل هذا لم يصرف جمال عبد الناصر عن التّفكير في أمته العربية. وقد كان لقيام إذاعة " صوت العرب" 4 يوليو 1953م التي كانت تساند الثوار في شمال إفريقيا، صالح بن يوسف في تونس، والسُلطان محمد الخامس ضد الجيلاوي في المغرب، كما تصدى جمال عبد الناصر للأحلاف العسكرية خاصة حلف بغداد 1955 م⁴ ، حيث أصر أيضاً على أنّ الحلف يُضِرُّ بشدّة التعاون الفعّال بين الغرب والعالم الإسلامي، كما اتخذت مصر موقفاً حيادياً ضد حلف بغداد⁵ ، وهذا أكبر دليل على تمسك جمال عبد الناصر بفكرة الوحدة القومية العربية ومحاولة تجسيدها على أرض الواقع رافضاً كل المساعدات الأجنبية.

وواصل جمال عبد الناصر أعماله في الداخل ساعياً لتحقيق مشروعه في إجلاء القوّات البريطانيّة وتجلّي ذلك في العدوان الثلاثي على مصر، وكان سبب هذه الحرب "قناة السويس" التي كانت محطّ أنظار الأطماع الأوربية لمكانتها الهامّة، وكانت الولايات المتّحدة

¹ - محمد بن عبود، مكتب المغرب العربي في القاهرة، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، 1992، ص 5 ، 9.

² - صالح أحمد العلي -نوري حمودي القيسي و آخرون، مرجع سابق، ص 279.

³ - فتحي رضوان، كتاب الحرب، اثنان وسبعون شهرا مع جمال عبد الناصر، ط2، دار الحرية للصحافة والنشر، القاهرة 1986، ص 5-7.

⁴ - صالح أحمد العلي، نوري حمودي القيسي، مرجع سابق، ص 310-311.

⁵ - لطيفة محمد سالم، أزمة السويس (1954-1958)، ص 23-25.

الأمريكية حريصة على التحكم فيها، كما أبعدت بريطانيا عن طريقها، ثم قامت بشن عدوان ثلاثي على مصر من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا وبريطانيا .

وتزامن العدوان الثلاثي على مصر مع استقلال تونس بقيادة الحبيب بورقيبة ، ولقد نجح جمال عبد الناصر في تأمين قناة السويس تحقيق مصر لسيادتها حيث كان ذلك حدثاً تاريخياً هزّ أمة العرب فخراً وكرامة¹.

وعلى الرغم مما كانت تعيشه مصر من تعسف استعماري إلا أن جمال عبد الناصر واصل مساندته لحركات التحرر في الوطن العربي، في حين كانت تسعى دول أخرى كتونس والجزائر والمغرب الأقصى إلى استقلالها وهذا يعود إلى اختلاف الإيديولوجيات رغم تشابه الأهداف، إلا أن إيمانه كان قومياً بعيداً عن المصالح الشخصية بقدر ما يهمله مستقبل الوطن العربي².

لقد كان جمال عبد الناصر قومياً وثورياً، وهب حياته لأمة العربية فدفعها من الجمود إلى الحركة ونقل القومية العربية والوحدة من مضامين الكتب والنظريات إلى وجود حقيقي ملموس بعد أن كانتا خيالاً وحلماً³.

02 : القضية الفلسطينية 1948 م

لقد كانت الأراضي الفلسطينية حجر الزاوية والركيزة لتحقيق المنطلقات الإستراتيجية للحركة الصهيونية ووليدتها إسرائيل فيما بعد، هذا إضافة إلى تهجير يهود العالم بوسائل مختلفة إلى فلسطين وبمقابل ذلك عملت الحركة الصهيونية على ترحيل سكان فلسطين العرب وتهويد الأرض تدريجياً عبر التسلّل إليها بطرق متعددة⁴.

¹ - نجيب صالح، مرجع سابق، ص 392-394.

² صالح أحمد العلي، نوري حمودي القيسي، مرجع سابق، ص 311.

³ نفسه، ص 320.

⁴ نبيل محمود السهلي، فلسطين أرض وشعب منذ مؤتمر بال وحتى 2002، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق

2004، ص 05.

وبالنظر إلى القضية الفلسطينية سنجد أنها عبارة عن موضوع نزاع تعود بداياته إلى اتفاقية "سايكس بيكو" 1916¹، ثم تفاقمت من خلال وعد بلفور 1917م² بعد أن منحت عصبة الأمم المتحدة إلى بريطانيا حق الانتداب على فلسطين حيث عينت الجمعية العامة للأمم المتحدة لجنة خاصة للنظر في مشكلة فلسطين وقدمت اللجنة تقريرها إلى الأمم المتحدة في 31 أوت 1948م، وقد اشتمل التقرير على مشروعين، الأول يوصي بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية والآخر يقضي بقيام دولة اتحادية مستقلة عاصمتها القدس³.

وقد شكل قرار التقسيم هذا طعنة بالنسبة للكثير من الشعوب التي رأت تصميماً من قبل الغرب على فرض سلطته على الشعوب الشرقية واعتبرته عملاً منافياً لمبدأ القومية وحق تقرير المصير، حيث قوبل هذا القرار باستنكار واسع في أرجاء الوطن العربي والإسلامي⁴.

وقد تباينت مواقف الدول العربية تجاه القضية الفلسطينية فعند الحديث عن قضية فلسطين من وجهة النظر للتونسية لا بد من الإشارة إلى أمرين، أولهما أن البلاد التونسية تعالج هذا الموضوع على لسان أي مسؤول فيها بنفس الأسلوب الذي اشتهرت به السياسة التونسية في الداخل والخارج وهو أسلوب الصدق والصراحة وثانيهما هو أن القضية الفلسطينية ليست مشكلة طارئة بالنسبة للسياسة التونسية، بل هي قضية شبيهة بالكفاح التونسي من أجل نيل الاستقلال⁵.

وقد كان الحبيب بورقيبة يُريد الخروج من ثوب الزعيم المنتصر والناجح وفي سياسته ليجرب حظّه في حلّ أعقد قضايا زمنه، حيث كانت علاقته المباشرة بالقضية الفلسطينية

¹ تفاهم سري استعماري بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لتقسيم السلطنة العثمانية والاستلاء على المشرق العربي، للمزيد أنظر عبد الوهاب الكيالي، ج3، مرجع سابق، ص120.

² هو التصريح البريطاني الرسمي الصادر في 2 نوفمبر 1917، أعلنت من خلاله الدول الاستعمارية تعاطفها مع اليهود في اقامة وطن قومي لهم بفلسطين. للمزيد؛ أنظر، عبد الوهاب الكيالي، ج1، مرجع سابق، ص600.

³ - اسماعيل أحمد ياغي، الجنود التاريخية للقضية الفلسطينية، د.ط، دار المريخ للنشر، الرياض، 1983م، ص123.

² - نفسه، ص124.

⁵ - مركز زايد للتنسيق والمتابعة، مرجع سابق، ص39.

تعود إلى الأربعينيات حين كان مقيماً بالقاهرة زمن الكفاح ضد الاستعمار.¹ حيث لم يكن بورقيبة يتردد في الإجابة عند سؤاله عن موقفه من إسرائيل، فكان يجيب مؤكداً على تضامنه مع فلسطين رغم أنه كان يتلقى الأسئلة من بعض الأشخاص الراميين إلى غايات معينة لاسيما حين يكون في عواصم العالم الغربي المعروفة بعطفها على الصهاينة، فقضية فلسطين كما كان يردد بورقيبة مراراً هي عبارة عن نكبة لخرة في جبين كل العربيين.²

أبان بورقيبة لهولة أنه مؤيد للكيان الصهيوني بمجرد توضيحه أنه راض على قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ولكنه في الحقيقة يرمي إلى هدف من أهدافه فهو كان ينوي نية أخرى بقبوله قرار التقسيم.³

يقول الباحث والمؤرخ علي المحجوبي "زار بورقيبة فلسطين على رأس وفد من الزعماء الجزائريين والمغاربة وقام بتقديم مذكرة إلى اللجنة الاستقصاء البريطانية الأمريكية حول القضية الفلسطينية ثم عند قرار التقسيم وتأسيس الدولة الإسرائيلية، بعث كذلك احتجاجه من الزعماء المغربية إلى الأمم المتحدة ضد تأسيس دولة إسرائيل، وبضيف أن بورقيبة كان متفطنا إلى موازين القوى التي كانت لصالح الحركة الصهيونية عسكرياً ودبلوماسياً بحكم انتصار الجيش الصهيوني على الجيوش العربية المجاورة، إضافة إلى المساندة العامة التي حظيت بها إسرائيل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الشمالية".⁴

وفي هذه الظروف اعتبر الحبيب بورقيبة أن القضية الفلسطينية تعدّ مشكلةً عويصةً تستوجب المرونة والمراوغة حيث طلب بالاعتراف بإسرائيل مقابل عودة اللاجئين الفلسطينيين.⁵

¹ - محمد الهادي حناشي، زمن فلسطين وعبد الناصر، ح3، مرجع سابق،

² - أرتور كونت، مرجع سابق، ص90. أنظر: الملحق رقم 12 ص 116 .

³ الطاهر بلخوجة، مصدر سابق، ص19.

⁴ محمد الهادي حناشي، مرجع سابق.

⁵ سمير عبده، مرجع سابق، ص 75.

كما أوضح بورقيبة أيضا وجهة نظره الخاصة تجاه إسرائيل في خطبة بأريحا حول قرار تقسيم فلسطين 1947م، حيث قال " إن الكارثة التي منيت بها فلسطين دليل على أن القيادة لم تكن موفقة وليس من الممكن أن نمثّل إلى سياسة كل شيء أو لا شيء التي توصلنا دائما إلى الهلاك وإلى سوء الأحوال وصعوبة الأمور فيما بعد¹.

وقد كان تصور بورقيبة في معالجة القضية الفلسطينية واعتماد الفلسطينيين على أنفسهم بالدرجة الأولى ثم تبني سياسة المراحل مع المزج بين الكفاح المسلح والدبلوماسية².

كما اعتبر بورقيبة أن سياسة المراحل التي انتهجها لحل قضية تونس هي النهج الأفضل والطريقة المثلى للوصول إلى حل القضية الفلسطينية³. ويقول " محمد الصياح " وزير ومدير الحزب الدستوري في زمن بورقيبة، أن بورقيبة أكد بالخصوص على أن القضية هي قضية الشعب الفلسطيني وليست قضية كافة الشعوب ولا الجامعة العربية كما أشار إلى أن جميع الإجراءات الخصة بهذه القضية لا بد أن تتم بموافقة الشعب الفلسطيني وممثليه⁴.

ولكن لم يتقبل الجميع موقف الحبيب بورقيبة من القضية الفلسطينية التي شكّلت عائقاً بالنسبة للكثير من القادة ورجال السياسة سواء في العالم العربي أو في العالم ككل فاشتدّ الجدل وساد الجو السياسي نوعاً من الاضطراب⁵.

ويذكر " عبد الجليل التميمي" عن موقف بورقيبة من قرار تقسيم فلسطين أن رد فعله

من خلال تأكيده للعرب
فاوض بطريقة
إسرائيل قد قدمت إلى فلسطين من أجل البقاء
الجدلي

1 - افي سعيد ، مصدر سابق، ص300.

2 - الصافي سعيد، نفسه ، ص302.

3 - مركز زايد للتنسيق والمتابعة، مرجع سابق 41.

4 - 3

5 - سمير عبده، مرجع سابق، ص80.

ياسية التي نادى بها بورقيبة طيلة فترة نضاله الوطني وعمد ي جميع قادة العرب للتمكن من حتمية التفاوض مع الكيان الاسرائيلي بصفة رسمية¹ .

أكد الحبيب بورقيبة أن أنجح وسيلة لكسب المناصرة الايجابية للقضية الفلسطينية يستند الجميع هيئة الأمم المتّ أحد الأمرين² .

إسرائيل مة الدوليّ جنين وتتنازل عن قسم من ة وتشهد قيام الدولة الفلسطينية وإمّا فيضعف موقفها في المجال ولي ويتضد³ .

لقد كانت هذه الخطة التي فضّل الحبيب بورقيبة تنفيذها من اجل تحريك القضية الفلسطينية

حيث ظلّ الحبيب بورقيبة وفيّاً للقضية الفلسطينية عنها ومتصدياً لجميع كان ينجرّ⁴ .

ويمكن تحديد موقف بورقيبة تجاه القضية الفلسطينية :

✓ مشكلة فلسطين يمكن حلّها

✓ العرب ي يلجأوا

سيخسرونها.

✓ إنه ينفي تقسيم فلسطين بين العرب وإسرائيل وإذا قبلت الدولة العربية وإسرائيل ذلك

بورقيبة يتطلع لأن يكون الوسط الذي يرتب مفاوضات بين الطرفين.

✓ إن العرب يجب ألا يعترفوا بإسرائيل وأن لا يتعاملوا معها.¹

_1

.21

.43

³ - مركز زياد للتسيق والمتابعة،

.22

_4

لقد كانت قضايا المغرب والمشرق العربيين من بين أهم القضايا التي لقيت إهتماماً من قبل الحبيب بورقيبة ، ورغم تباين مواقفه من هذه القضايا تمكن من التوفيق بين الإثنين في النضال والذي انتهجه في مواجهة الحماية الفرنسية في تونس

ه كزعيم للنضال السياسي

أيد الحبيب بورقيبة كل من القضية الجزائرية والقضية الفلسطينية واعتبرها من القضايا الشبيهة بالقضية التونسية ما فيما يخص قضية الوحدة القومية وقضية الوحدة المغربية فلم يكن الحبيب بورقيبة مهتماً بها كثيراً ولم يعتبرها محطّ باره كان منشغلاً باستقلال بلاده.

خاتمة

وفي الأخير نأمل من خلال عملنا هذا، أننا غطينا جانباً من جوانب النضال الوطني والقومي للحبيب بورقيبة ونأمل كذلك أننا تمكنا من الوصول إلى إجابات لتساؤلاتنا التي تمّ طرحها في الإشكالية. وإن ما توصلنا إليه من استنتاجات لا تعدّ أحكاماً نهائية، بل هي عبارة عن مقارنة في توضيح دور الحبيب بورقيبة في قيادة تونس نحو الاستقلال و تبيان مواقفه من القضايا العربية ولهذا فقد وجدنا أنفسنا أمام مجموعة من النتائج تمثلت فيما يلي :

✓ أن معاهدة باردو 1881م التي فرضتها فرنسا على تونس التي أفقدت البلاد سيادتها الخارجية وجزءاً من سيادتها الداخلية، في الوقت الذي كانت تونس تعيش فترة من الضعف والانهيال لتظهر بذلك محاولات لصد نظام الحماية والمتمثلة في المقاومات الشعبية المسلحة والتي باءت بالفشل ولم يكتب لها الدوام لأسباب متعدّدة.

✓ كان بروز العمل السياسي في تونس نتيجة جهود نخبة وطنية مثقفة متأثرة بأفكار المشرق العربي جاء نشاطها في شكل حركات وجمعيات وأحزاب وطنية كان أهمها الحزب الدستوري التونسي الذي جاء ببرنامج أكثر وضوحاً للسياسة الفرنسية، لكن تعرضت هذه الحركات للاضطهاد ومن قبل فرنسا وخاصة بعد نفي الشيخ عبد العزيز الثعالبي.

✓ لقد استأنف نشاط الحركة الوطنية التونسية بعد انشقاق الحزب الدستوري التونسي وظهور تيار بزعامة الحبيب بورقيبة الذي ذو تكوين ثقافي وغربي، الأمر الذي ترك أثراً كبيراً في مسار الحركة الوطنية التونسي.

✓ إن تأسيس بورقيبة للحزب الدستوري التونسي الجديد، كان امتداداً للحزب الدستوري القديم ولم يكن بمعزل عنه حيث ارتكز الحزب الجديد على جذور الحزب القديم.

✓ تميزت المقاومة التي خاضها الحزب الدستوري الجديد في مرحلته الأولى بسياسة سلمية تعرف برغباتها وتطمح لتحقيقها بالتّي هي أحسن وحيث كان محركها الحزب الدستوري

خاتمة

- الجديد وكان المخطط والمنفذ لها الحبيب بورقيبة والمنظم لصفوفها والساھر على نجاحها قد ساعده الحظ بأن خرج سالما من المواجهات العديدة التي قادها وتعرض فيها للموت المحقق.
- ✓ لعب الحبيب بورقيبة دورا هاما في قيادة تونس نحو الاستقلال من دوره في المقاومة المسلحة 1952 م ممل جعلها حتمية لإثارة انتباه الرأي العالمي واهتمامه للقضية التونسية.
- ✓ انّ التقارب البورقيبي التونسي وتحلي بورقيبة بالتضحية والنزاهة الفكرية مكنه من أن يُسير البلاد التونسية للاستقلال الداخلي ثم الاستقلال التام من خلال سياسته المرحلية واعتماده على تنازلات الخصم ليطالب بالمزيد.
- ✓ بروز أزمة بين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف كادت أن تؤدي برصيد الحركة الوطنية التونسية الذي حققته على امتداد سنوات من التضحيات والانجازات والانتكاسات.
- ✓ على الرغم من انتقال الحبيب بورقيبة بالقضية التونسية إلى الرأى العالمى إلاّ أنه لم يمنع من مساندة القضايا العربية ونذكر منها الثورة الجزائرية وبحكم المجاورة ونفس العدو توجب عليه التعاون مع هذا الواقع،بالإضافة إلى مساندته للقضية الفلسطينية التي كانت تشغل بال الوطن العربي وذلك من خلال تحديد موقفه بأن حل القضية الفلسطينية يكمن في استعمال أسلوب المراحل.
- ✓ بالإضافة إلى هذه القضايا نجد قضية الوحدة المغاربية والوحدة القومية العربية التي لم تلق إهتمام الحبيب بورقيبة لانشغاله بالقضية التونسية.

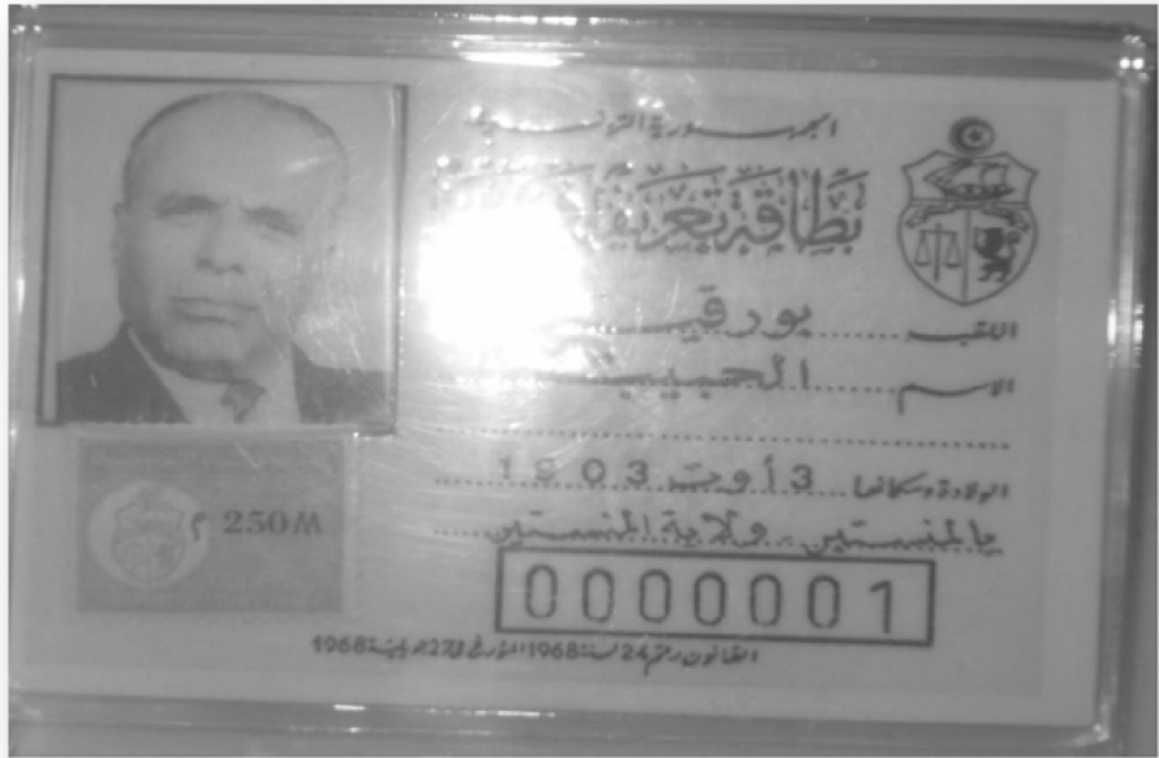
الملاحق

الملحق رقم 02: المنزل الذي ولد به الحبيب بورقيبة²



² عز الدين معزة ، مرجع سابق ، ص 460.

الملحق رقم: 03: بطاقة التعريف الوطنية الحبيب بورقيبة³.



³ - عز الدين معزة. مرجع سابق. ص 459.

الملحق رقم: 04: ورقة تعريفية بالحبيب بورقيبة.⁴

- 2 -

Signalement
Description

Taille : 1,65
Height

Couleur des yeux : gr.
Colour of eyes

Couleur des cheveux : n.
Colour of hair


Signes particuliers : /
Special marks

Accompagné de 0 enfants.
Accompanied by children

Nom Surname	Prénoms Christian names	Date de naissance Date of birth

- 3 -

Photographie du titulaire et,
le cas échéant, photographies
des enfants qui l'accompagnent.
Photograph of the bearer (and of children if any)



Signature du titulaire
Signature of bearer

Bourguiba

الملحق رقم : 05: الحبيب بورقيبة محاميا, سنة 1927م⁵



⁵ - أرتوركونت, مرجع سابق, ص 28.

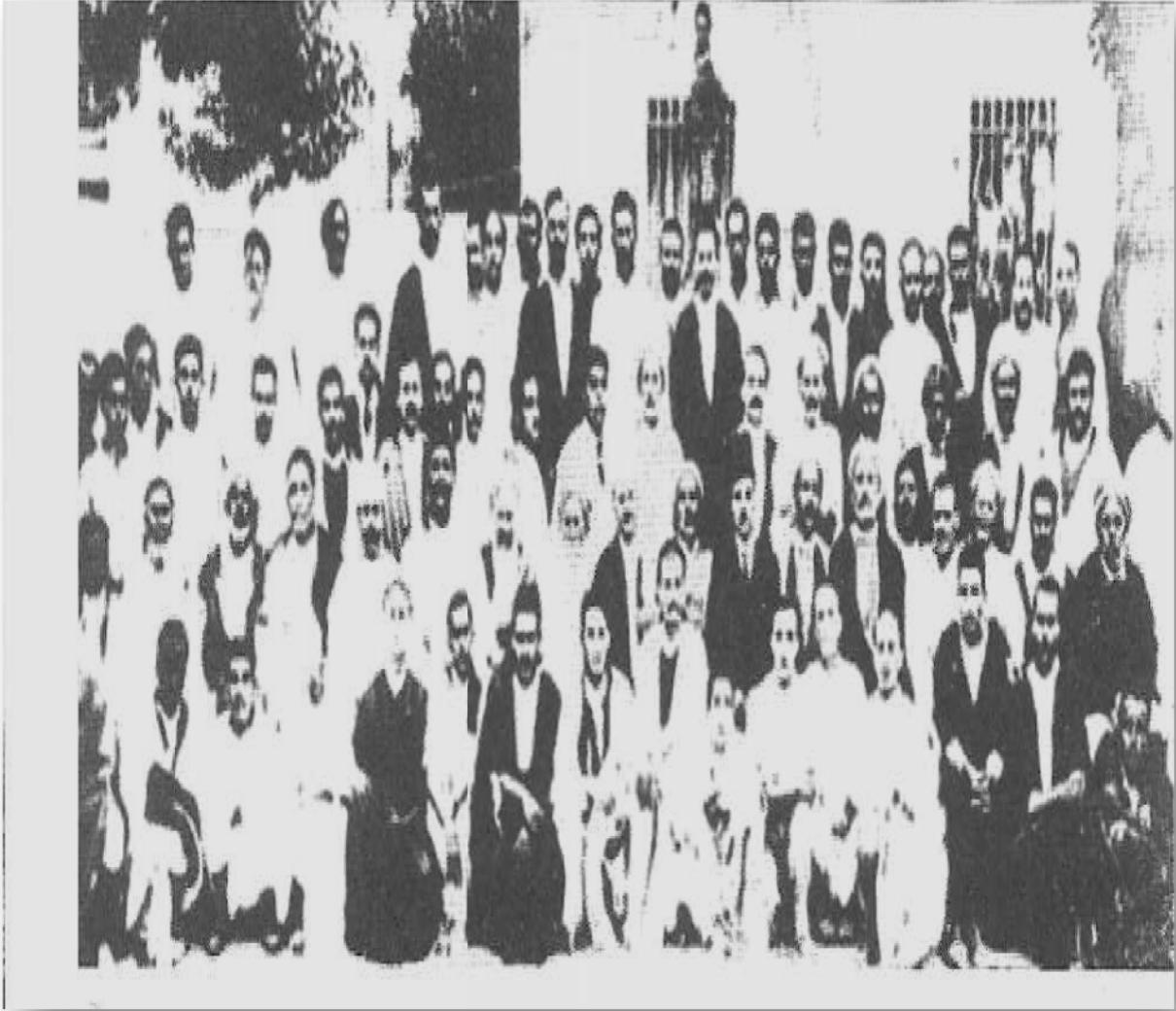


⁶ - خليفة الشاطر وآخرون ، مرجع سابق ، ص 97.

الملحق رقم 07 : رسالة بخط يد الحبيب بورقيبة يدعو فيها أعضاء الحزب الدستوري إلى عقد مؤتمر بقصر هلال⁷

الحمد لله
جناب الموفّر المحترم الوطني الغيور السيد
ما بعد بناء على طلب الغلبية تشعب الحزب عقد مؤتمر جوف العادة
عصر الثلاثاء الذي حدث داخل اللجنة التنفيذية بقرعة تكليف
البرلمان مع الساسي الذي فمّر المؤتمر الأخير وإساليب العمل وجعل
نظام داخلي يكفل حياة الحزب ونجاح القضية التونسية عند فرمت
اللجنة الوقية الشرفاء كم يحقور هذا المؤتمر جوف العادة الذي سينعقد
مدينة مهران لال على الساعة التاسعة صباحا من يوم الجمعة
اذية الفعده سنة المواعيد الثاني مارس الاو برجي القابل والرغوة
ن تعيينا نانا منكم وتسلموا نيابة باوصاء لجنة تشجبتكم ليدعي بها
عند الطلب والسلم
الكاتب للجنة الوقية
الحبيب بورقيبة

الملحق رقم : 08: المؤتمر في قصر هلال الانشقاقي 1934م .⁸



⁸- Ahmed(kassab . op.ct .p 41.

الملحق رقم 09 : رفقاء الحبيب بورقيبة في الحزب الدستوري الجديد.⁹



*Dr. Mohamed Mami
(1897-1972)*



*Habib Bourguiba
(1903-2000)*



*Tahar Sfar
(1903-1942)*



*Bahri Guiga
(1904-1998)*



*Hédi Chaker
(1905-1953)*



*Dr. Slimane Ben
Slimane (1905-1986)*



*Salah Ben Youssef
(1907-1961)*



*Aliata Balahmane
(1906-1958)*



*Mongi Slim
(1905-1969)*



*Habib Thameur
(1909-1949)*



*Hédi Nouira
(1911-1993)*



*Bahi Laghnam
(1913-1998)*



*Isob Mehiri
(1924-1965)*

⁹- Ahmed Kassab, op.cit ; p401.

الملحق رقم : 10: بروتوكول استقلال تونس¹⁰.

بسر ونسوكسون (الإستقلال) (1956)

في 3 جوان 1955 على إثر مفاوضات حرة حصلت بين وفديهما تفتت الحكومة الفرنسية على الإصتراف لتونس بممارستها لكاملة السيادة الداخلية فأبدت على هذا النحو عزمها على تمكين الشعب التونسي من بلوغ ازدهاره الكامل وتولى الإشراف على مصيره على مراحل.

وتعترف الحكومتان بأن التطور المنسجم والسلمي للعلاقات التونسية الفرنسية يتمشى مع مقتضيات العالم المعصري وبلاحتضان بانهاج أن ذلك التطور يتيح البلوغ للسيادة الكاملة بتون الام بالسمية للشعب ويدون صدمت بالسمية للدولة.

وتؤكد اقتناعها بأنه بإقامة علاقاتها على أساس الإحترام المتبادل ولكامل سيادتيهما في نطاق استقلال الدولتين وتساويهما تدعم فرنسا وتونس التضامن الذي يربط بينهما لأجل خير البلدين.

وعلى إثر خطاب لتولية الذي ألقاه رئيس الحكومة الفرنسية وجواب جلالة الملك المؤكدين لعزمهما المتشرك على التقدم بعلاقاتهما في نفس روح السلم والصدافة اختنعت الحكومتان مفاوضات بباريس يوم 27 فيفري وبناء عليه تعترف فرنسا علانية باستقلال تونس.

ينجم عن ذلك :

أ/ أن المعاهدة المبرمة بين فرنسا وتونس يوم 12 ماي 1881 لا يمكن أن تبقى تتحكم في العلاقات الفرنسية التونسية ؛

ب/ أن أحكام اتفاقية 3 جوان 1955 التي قد تكون متعارضة مع وضع تونس الجديد وهي نولة مستقلة ذات سيادة سيقع تعديلها أو إلغاؤها.

ينجم عن ذلك أيضا :

ج/ مباشرة تونس لمسؤولياتها في مادة الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وكذلك تكوين جيش وطني تونسي في نطاق احترام سيادتيهما تتفق فرنسا وتونس على تحثيد أو إكمال صيغ تكافل يكون محققا في حرية بين البلدين بتكظيم تعاونهما في الميادين التي تكون مصالحها فيها مشتركة خاصة في مادة الدفاع والعلاقات الخارجية.

وستتبع الإتفاقيات بين فرنسا وتونس صيغ المساعدة التي ستقدمها فرنسا لتونس في إنشاء لجيش الوطني التونسي.

وستتألف لمفاوضات يوم 16 أفريل 1956 قصد الوصول في أقصر الأجال الممكنة وطبقا لمبادئ المقررة في هذا البروتوكول لإبرام الوثائق الضرورية لوضعها موضع التنفيذ.

حرر بباريس في لمختين لصميين يوم 20 مارس 1956

عن فرنسا : (المضى) كريستيان بيتو

عن تونس : (المضى) الطاهر بن عمار

الملحق رقم: 12: الحبيب بورقيبة يلقي خطابا حول القضية الفلسطينية.¹²



¹² – (Leaders) , Bourguiba quinze- ans Déja , edition Leaders , Tunis, 2015, p 94.

قائمة

البيبليوغرافيا

:_____:

- بلخوجة الطاهر بورقية سيرة زعيم، _____، دار الثقافة للنشر، القاهرة 1999م.
- بن الخوجة محمد، _____ تاريخ تونس - تق وتغ: حمادي الساحلي والجيلالي بن الحاج يحيى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
- ثامر الحبيب، هذه تونس، مطبعة الرسالة للنشر، القاهرة، د.ت.ن.
- الثعالبي عبد العزيز، _____، تق:حسن احمد جغام، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1989م.
- جوليان شارل اندري، افريقيا الشمالية تسير القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية تر:المنجي سليم وآخرون مرا:فريد السويدي، دار المدار التونسية للنشر، تونس، 1976م.
- الحبيب بورقية، محاضرة امام طلبة معهد الصحافة وعلوم الاخبار حول تاريخ ركة الوطنية التونسية تونس، (1973/10/12).
- الديب فتحي، _____، ط2، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1990م.
- الزمرلي الصادق، علام تونسيون تق و تغ:حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
- سعيد الصافي، بورقية سيرة شبه محرمة، رياض الريس للكتب و النشر، بيروت 2000م.
- الفاسي علاء، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة 1948م.
- الفيلاي عبد الكريم، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج11، ط1، شركة ناس للطباعة، القاهرة، 2006م.
- المدني احمد توفيق، حياة كفاح، ج1، مذكرات في تونس (1905م-1925م) ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م.

ثانياً :

- العربي :

- دبش إسماعيل، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية (1954 - 1962) دار هومة للنشر ، الجزائر ، 1992م.

- الزّغبي محمد عبد المالك، مة غيّ مجرى التاريخ، ط1، دار
التقوى للنشر، الإسكندرية ، 2011م.

- السهلي نبيل محمود ، فلسطين ارض وشعب منذ مؤتمر بال وحتى 2002 ، اتحاد
الكتاب العرب ، دمشق ، 2004م.

- دسوقي ناهد ابراهيم ، دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية
، القاهرة ، 2008م .

- رضوان فتحي، كتاب الحرية اثنان وسبعون شهرا مع جمال عبد الناصر، ط2 دار
الحرية للصحافة و النشر، تونس، 1986م.

- سالم لطيفة محمد ، ازمة السويس (1954م- 1958م) .

- غنيمي رأفت الشيخ ، تاريخ العرب الحديث ، دار صدير للنشر ، القاهرة 1994م.

- أبو الرّيش سعيد ، مركز دراسات الوحدة العربية
للنشر، بيروت، 2005م

- امين سمير ، المعرب العربي الحديث ، تر:كميل داغر ،دار الحداثة للنشر ، الجزائر،
2001م.

- بلغيث الشيباني، الجيش التونسي في عهد الصادق باي (1859 - 1882) -

تق:عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، كلية الآداب
و العلوم الانسانية، تونس، 1995م.

- بلقاسم محمد، 1910- 1954) ط1، البصائر للنشر، والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- بلقاسم محمد 1954- 1975) ط1، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- بن عبود محمد، مطابع منشورات عكاظ الرباط، 1992 م.
- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1997م.
- بوعزيز يحي، تاريخ افريقيا العربية الاسلامية طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، دار القضية للنشر ، الجزائر، 2007م.
- التيمومي الهادي ، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي ، بيت الحكمة ، تونس 2000م.
- الجمل شوقي، المغرب العربي الكبير من الفتح الاسلامي الى الوقت الحاضر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 2007م.
- داهش محمد علي، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوجدانية في المغرب _____ ، اتحاد الكتاب العربي للنشر، دمشق، 2004م.
- درمونة يونس ، تونس بين الحماية _____ ، دار اليقظة ، دمشق ، 2009 م .
- راشد احمد إسماعيل ، تاريخ أ السياسي الحديث والمعاصر ، ط1، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، 2004م.
- السرجاني راغب، قصة تونس من البداية الى ثورة 2011 ، ط1، دار الأعلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2011م.
- الشاطر خليفة وآخرون، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، ج3، ملاكز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005م.

- الشريف محمد الهادي ، يخ تونس من عصور ما قبل التاريخ ،
تر: الشاوش ومحمد عجينة ، ط3، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993م.
- الصغير مريم ، موقف الدول العربية من القضية الجزائرية (1954 - 1962) ،
الحكمة للنشر ، الجزائر ، 2009م.
- عامر محمود علي ، تاريخ المغرب المعاصر، منشورات جامعة دمشق ، سوريا
، 2006م.
- عبد الله الطاهر، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جدي (1830 -
1956)، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990م.
- عبده سمير ، التحليل النفسي لزعماء وسياسيين عرب ، ط1 ، دار الكتاب العربي
القاهرة ، 2005م.
- العقاد صلاح ، دراسة في تاريخه الحديث وأ _____ مكتبة
الأنجلو مصرية، 1980م.
- العلي صالح احمد وآخرون ، _____ ، ط1، بيروت، 1986م.
- عودة محمد عبد الله، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1979م.
- غانايح جان _____ 1864 ، تر: لجنة من كتابة الدولة للشؤون
الثقافية ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1965م.
- الغزالي محمد، حقيقة القومية العربية، دار النهضة للنشر، القاهرة، 1998م.
- غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي في عصر الامبراطورية
_____ ، ج3، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2005م.
- قدورة زاهية ، تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 2008م.
- القصاب احمد، تاريخ تونس المعاصر (1881 - 1956) تر: حمادي الساحلي
الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، تونس ، 1986م.
- كونت أرتور ، بورقية الاسطورة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 2007م.

- اللولب حبيب حسن ، التونسيون و الثورة الجزائرية ، ج1 ، ط1، دار السبيل للنشر الجزائر ، 2009م.
- مالكي امحمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، بيروت 1994م.
- مجموعة باحثين، تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر، ط1،المجمع التونسي للادب والعلوم والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1993م.
- المحجوبي علي ،انتصاب الحماية الفرنسية على تونس،تع:عمر بن جنود حليلة قرقوري وعلي المحجوبي ، ط2، دار سراس للنشر، تونس، 1986م.
- المدني توفيق ، المعارضة التونسية نشأتها وتطورها ، إتحاد الكتاب العرب للنشر ،دمشق ،2001م.
- المرزوقي محمد ، صراع مع الحماية ،الاتحاد العام التونسي للشغل ، تونس 1973م.
- مركز زايد للتنسيق والمتابعة ، الحبيب بورقيبة (1903 - 2000) ، دولة الإمارات العربية .
- مقلاتي عبد الله ، دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة التحريرية (1945 - 1962)) دار بوسعادة للنشر ، الجزائر 2010م.
- مناصرية يوسف، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين ،دار هومه للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2013م.
- نجيب صالح، تاريخ العرب السياسي، (1856 - 1956)، ط1، دار اقرا للنشر بيروت، 1985م.
- ياغي إسماعيل أحمد ،الجدور التاريخية للقضية الفلسطينية، دار المريخ للنشر الرياض ،1983م.
- ياغي إسماعيل احمد- شاکر محمود، تاريخ العالم الإسلامي الحديث و المعاصر ج2، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، 1993م.

- يحي جلال ، العالم العربي الحديث، الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ، العالم العربي الحديث والمعاصر ،الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين، ج2 ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية .

- يحي جلال ، المغرب الكبير الفترة المعاصرة ، الدار القومية للطباعة والنشر الإسكندرية ،1966م.

لغة الأجنبي :

- (A) guelouz. (A) massmoudi et autres ، Histoire générale de la tunisie , T3 , les temps modernes , sud edition , tunis ,2010.

- (Leaders) ، Bourguiba quinz-ans et la France , edition leaders , tunis , 2015.

- (Ahmed) kassab (Ahmed) ounaies ,et autres ، Histoire générale de tunisie, T4, Lepoque contemporaine , sud edition , tunis , 2010.

- (Habib) boulares ، histoire de la tunisie , les grande dates , ceres edition, tunis 2011.

- (Jean) la coutoure ، cinq homme et la France, editions-du seuil France , 1961.

: وري :

- بكّوش الهادي ، (1881- 1964) ، درس افتتاحي أمام طلبة كلية الحقوق بصفاقص ، تونس 2003م.

- التكريتي غيلان سمير طه ، الحركة الوطنية التونسية في سنوات ما بين الحربين (1918- 1939) _مجلة آداب الفراهيدي ، ع 13 ، ديسمبر 2013م (م)

- شاوش حباسي محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية (1914- 1920) _مجلة الدراسات التاريخية ، ع7 يصدرها معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1993م.

- صموت كرمال ، الاستعمار الرأسمالي الفرنسي وحركة الشباب التونسي (1881م- 1914م) ،المجلة التاريخية المغربية ، ع1 ، تونس ،1974م.

- عصفور محمد سلمان ، الحماية الفرنسية على تونس عام 1881
_____ ، مجلة ديالي ، ع56 ، العراق ، 2012م.
- فياض نعمة بحر، دور صالح بن يوسف في قيادة الحزب الدستوري الجديد
(1934 - 1945) ، مجلة آداب الفراهيدي ، ع15 ، 2013م.
- مصطفى كريم _____ الاتحاد العام للعمال التونسيين الى الفدرالية النقابية العمالية
،المجلة التاريخية المغربية ، ع1 ، تونس ، 1974م.
- : :
- أمين احمد ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي ، بيروت.
- التونسي خير الدين _____ ، دار الكتاب العالمي للنشر ، بيروت
، 1992م.
- الزّيدي مفيد ، موسوعة تاريخ العرب المعاصر والحديث ، ط1 ، دار اسامة للنشر
والتوزيع ، عمان ، 2004م.
- عبد الحليم رجب محمد، الموسوعة الافريقية، م2، منتدى الازكية، القاهرة ، 1998م.
- عبد الكافي عبد الفتاح ، _____ الميسرة للمصطلحات السياسية

- انجليزي.
- عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة، ج1، ج2، ج3، ج4، ج7، المؤسسة
العربية للدراسات والنشر، بيروت.
- عيد عاطف ، قصة وتاريخ الحضارات العربية ، منشورات كرابس ، بيروت ، 1999م.
- : طروحات الجامعي :
- شايب قدارة ، الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري (1934 -
1954) _____ أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر غير منشورة
(إشراف: أ.عبد الرحيم سكفالي)، جامعة منتوري قسنطينة ، 2007م.

- الطاهر جبلي ، شبكات الدعم اللوجستيكي للثورة التحريرية، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، غير منشورة، (إشراف: د.يوسف مناصرية) جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان 2008م

- عبو نجاة ، التحرر الوطني ووحدة المغرب العربي لدى بن بلة و صالح بن يوسف دراسة تاريخية مقارنة، (1945م-1961م) ، أطروحة ماجيستر في التاريخ المغاربي الحديث و المعاصر غير منشورة،(إشراف:أ. عبد الله مقلاتي)، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2014م.

- معزة عز الدين ،فرحات عباس و الحبيب بورقيبة، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة (1899- 2000) أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر غير منشورة، (إشراف:د.عبد الكريم بوصفصاف)، جامعة منتوري قسنطينة، 2010م.

- مقلاتي عبد الله ، العلاقات الجزائرية المغربية ابان الثورة التحريرية الجزائرية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة(إشراف:د. مناصرية يوسف) جمعة منتوري قسنطينة، 2008م.

: :

- الشيخ ابو عمران ، معجم مشاهير المغاربة ، منشورات دحلب ، الجزائر ، 2000م.

: الأشرطة الوثائقية والبرامج التلفزيونية :

- حصة تلفزيونية ، شهيرة احمد ، الذكرى السادس عشر لوفاة الزعيم الأكبر الحبيب بورقيبة ، قناة نسمة ، تونس (2016/04/16م ، سا: 10:00).

- مشاهد و آراء ، حناشي محمد الهادي ، زمن بورقيبة ، ح3، قناة العربية ، الإمارات (2012/12/25، سا: 12:00).

الفهرس

	شكر
	إهداء
	قائمة المختصرات
01	مقدمة
	الفصل الأول : ميلاد الحركة الوطنية التونسية وتأثيرها على شخصية الحبيب بورقيبة
07	تمهيد
08	المبحث الأول : عوامل ظهور الحركة الوطنية في تونس.
08	01 : الحماية الفرنسية على تونس 1881م.
16	02: المقاومة الشعبية المسلحة و فشلها.
22	المبحث الثاني: بدايات النضال السياسي التونسي.
22	01 : المؤثرات الفكرية العربية والإسلامية.
28	02 : الحزب الحر الدستوري التونسي.
35	المبحث الثالث : التعريف بشخصية الحبيب بورقيبة.
35	01 : المولد و الأصول.
36	02 : التكوين الاجتماعي والثقافي.
	الفصل الثاني : النضال الوطني للحبيب بورقيبة.
42	تمهيد
43	المبحث الأول : الحبيب بورقيبة والنضال السياسي.
43	01: ظروف التحاق الحبيب بورقيبة بالنشاط السياسي.

48	02: الحبيب بورقيبة و الحزب الدستوري الجديد 1934.
54	03 : نشاط الحبيب بورقيبة من خلال الحزب الدستوري الجديد.
63	المبحث الثاني : تونس تنقاد نحو الإستقلال
63	01 : دور الحبيب بورقيبة في الثورة التونسية المسلّحة
69	02 : المفاوضات التونسية الفرنسية والاستقلال.
75	03 : الأزمة اليوسفية البورقيبية .
الفصل الثالث : النضال القومي للحبيب بورقيبة	
80	تمهيد
81	المبحث الأول : بورقيبة وقضايا المغرب العربي.
81	01 : قضية الوحدة المغاربية.
86	02 : قضية الثورة الجزائرية 1954م.
91	المبحث الثاني: بورقيبة وقضايا المشرق العربي.
91	01: قضية الوحدة القومية العربية.
94	02 : القضية الفلسطينية 1948م.
102	خاتمة
105	الملاحق
118	قائمة البيبلوغرافيا
127	فهرس المحتويات
	ملخص

ملخص الدراسة

ظهرت الحركة الوطنية التونسية كنتيجة عن انتصاب الحماية الفرنسية بتونس حيث قاد هذه الحركة نخبة من المثقفين بالثقافة العربية في بادئ الأمر ثم انتقلت قيادتها إلى جماعة جديدة متشعبة بالثقافة الغربية والفرنسية خاصة ومن بين هؤلاء الحبيب بورقيبة.

ولد في 03 أبريل 1903 بمدينة التونسية . تكون تكويننا عربيا داخل تونس من خلال دراسته بمعهد الصادقية ثم تشبع بالثقافة الغربية بعدما التحق بجامعة الصوريون لإتمام دراسته الجامعية ، مارس مهنة المحاماة بعد عودته إلى تونس ثم بدأ يتطلع إلى النشاط السياسي بهدف تخليص تونس من الوضع الذي كانت تعيشه

أسس الحزب الدستوري الجديد والذي تمكن من خلال نشاطه داخله من تحقيق غاية الاستقلال وكانت قد تباينت مواقفه من القضايا العربية.

Résumé :

Mouvement national Tunisien a émergé à la suite du protectorat français en Tunisie qui dirigé par un groupe d'intellectuels de la culture arabe, d'abord puis transféré à un nouveau groupe de leadership, ancrée dans la culture occidentale et les Français Parmi eux, Habib Bourguiba.

Né le 03 Avril 1903 Tunisie a « Ministir » en Tunis il contenue ses études à l'Institut de Sadiki puis saturer la culture occidentale après, il rejoint l'Université « Alsorbun » pour terminer ses études universitaires, il travaille comme un avocat après son retourne il pesse depuis 1920 a commence l'activité politique afin de débarrasser la Tunisie de la situation qui a été vécue depuis 1881.

Les points de vues de Habib Bourguiba sont déférents .